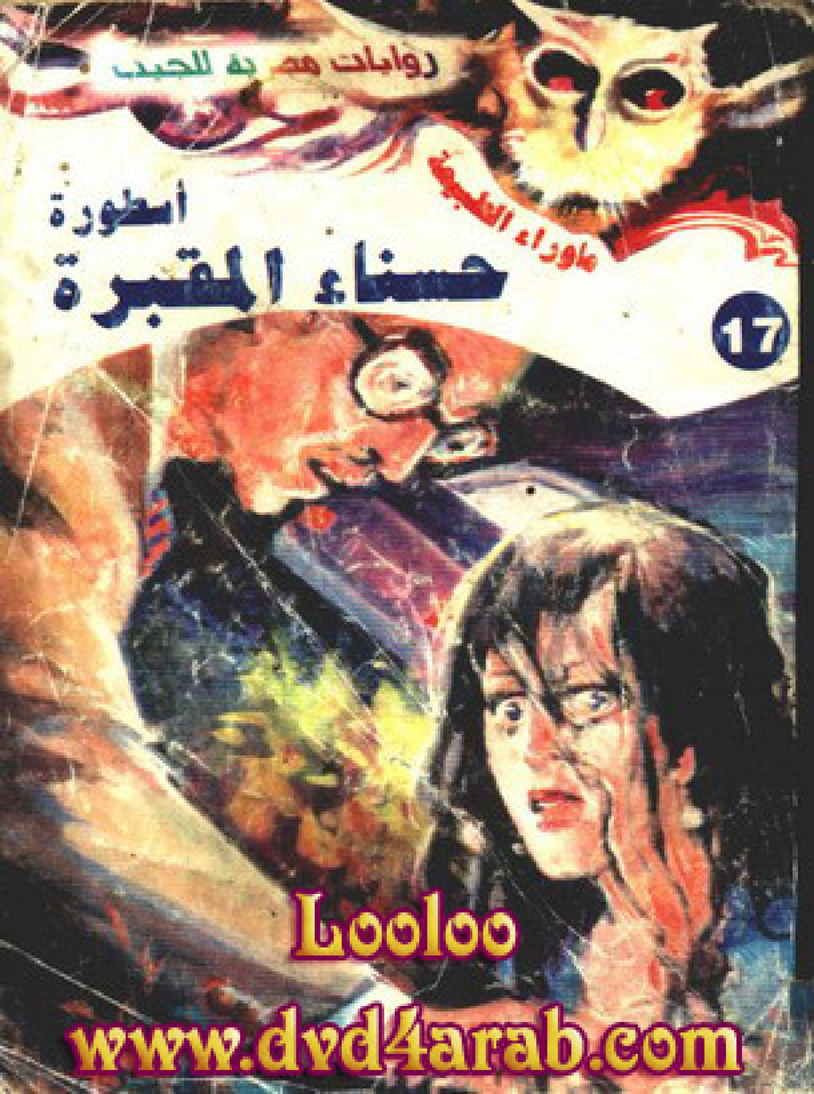

ماوراء الطبيعة
أسطورة
حسناء المقبرة
17

مقــدمــة

أرى بينكم ضيوفًا جددًا لم أتشرف بجلوسهم إلى مائدتى من قبل .. لهذا أرجو أن تسمحوا لى بتقديم نفسى لهم ..

الاسم : رفعت إسماعيل .

الســن : أدنو من السبعين أو القبر أيهما أسرع .

الحالة الاجتماعية : ذئب وحيد .

المهنة : أستاذ أمراض الدم سابقًا ، وصائد أشباح هاو .

محل الميلاد : كفر بدر ـ شرقية .

ملامح مميزة : أصلع الرأس .. أشيب الفودين .. نحيل كعود ثقاب ..

عادات : أدخن كأوتوبيس قريتى .

هل ثمة أسئلة أخرى ؟.. لا أظن ...

والآن تعالوا نستمع من العجوز (رفعت) ـ الذى هو أنا ـ إلى قصة جديدة رهيبة من حكاياته العديدة ..

متى تنتهى قصصى ؟..

يا له من سؤال !.. حين أموت طبعًا .. أو حين يصيبنى الشلل أو العته أو سرطان الحنجرة .. أو حين تملّون حكاياتى وتنصرفون عن مجلسى .. وأنا أشك فى الاحتمال الأخير لأن جعبتى لاتزال مفعمة بحكايات لا بأس بها .. بعضها يشيب لهوله الولدان ـ كما يقولون ـ وبعضها يعدك بأمسية مسلية لابأس بها .. لاسيما مع شطيرة وقدح شاى ..

طالما ظلّ الشيخ (رفعت إسماعيل) قادرًا على جعلك تسهر مع كتاب بدلاً من مشاهدة التليفزيون أو التسكع فى الطرقات ؛ فهو مازال بصحة جيدة .. ومازال حيًا على الأقل ..

سأحكى لكم الليلة حكايتى مع (براكسا) حسناء المقبرة .. تعرفون حسناء النهار .. تسمعون عن حسناء الشاطئ .. حسناء المدرسة ، لكن حسناء المقبرة مصطلح فريد من نوعه .. إن لم يكن سخيفًا ..

لماذا أسميتها كذلك ؟..

الإجابة سهلة .. لأنها حسناء .. ولأننى قابلتها فى مقبرة ..

أما ما حدث بعد ذلك فموضوع يطول شرحه ....

١ ـ فتـــاة ..!

الليالى المقمرة عالم ساحر .. هذا بالطبع إذا ما تغاضينا عن الأشياء المرعبة التى يراها واسعوا الخيال ..

ولم أكن أعرف عن نفسى إلا ضيق الخيال .. لهذا لم أحسب كل هذا ممكنًا ..

* * *

اليوم السابع من مايو عام ١٩٦٧ ... تذكرون أننى فى هذا التاريخ بالضبط كنت غارقًا ـ حتى الأذنين ـ فى مشاكلى مع غيبوبة (هن ـ تشو ـ كان) التى تأبى أن تنتهى بالموت وهو الراحة الكبرى ، أو الإفاقة وهى الراحة الصغرى ..

كنت غارقًا فى خواطرى وأبحاثى الحائرة عن مخرج حين حدثت لى هذه القصة المختصرة .. أحداثها لم تتعد أسبوعًا لكنها جديرة ـ بكل تواضع ـ أن تُوضع على رف ذكرياتى جوار مصاصى الدماء .. والمذءوبين .. والنباتات المفترسة .. وكل كهنة (الازتك) الحانقين دومًا ..

* * *

فى الساعات الأولى من الصباح دق جرس الباب .. فنهضت لأفتحه لأجد عمى الحاج (إبراهيم) قد وقف على الباب يدق الأرض بعصاه .. وقد غرق فى العرق والغبار بعد رحلة طويلة من قريتى إلى دارى .. فما إن رآنى حتى وثب يعانقنى .. ويطلق السباب لسبب لا أعرفه حقًا .. ثم بدأ - كالعادة - يعلن استياءه من تدهور صحتى ونحولى وتأخرى فى الزواج إلى الحد الذى صار معه الأمر مريبًا ..

ولم يفتنى حين أدخلته الشقة أن ألاحظ النظرات المتشككة التى راح (يمسح) بها كل ركن فيها، كأنما - سامحه الله - يتوقع أن شقة العازب هى وكر للموبقات .. وأنه سيجد غانية فى كل حجرة .. وزجاجة خمر تحت كل مقعد ومائدة قمار خلف كل ستار ..

إنهم يتزوجون فى العقد الثانى فى قريتى .. وهم لا يفهمون أبدًا أن يعيش إنسان حتى العقد الخامس من عمره دون زواج ما لم يكن مخبولًا أو فاقد الرجولة أو معوج السير ..

سامحك الله يا عمى !.. أنت لم تر ولم تعرف (ماجى) .. وهذا يكفى كى لا ألومك على سوء الظنّ ..

مشكلتى مع الزواج هى أننى سريع الملل وسلبى إلى حدّ مفزع . ومعنى الزواج هو أن أجتاز غابة شائكة من الإجراءات والمفاوضات والمجاملات وأن - تصوروا هذا - أسافر إلى (دمياط) لانتقاء الموبيليا مع حماة متشككة رافضة لكل شىء !.. وكل هذا لأجل ماذا ؟.. لأجل فتاة لا أحبها ولا أحمل نحوها أية مودة ..

إن اجتياز هذه الغابة يحتاج حافزًا قويًا .. حافزًا أقوى بكثير مما تقدمه لى أية واحدة من عرفتهن ..

ولقد كانت (هويدا) مناسبة إلى حدّ ما .. قادرة على جعلى أتحمل ما ينبغى أن أتحمله .. لكن العفن تسرّب إلى علاقتنا دونما سبب مفهوم، وحين انتزعتُ خاتمها من يدى اليمنى أدركت أننى أنتزع آخر أمل لى فى أن أصبح زوجًا أو أبًا ..

دعونا من هذا الموضوع المملّ ..

لنعد إلى عمى الذى - حتمًا - يحمل لى موضوعًا أكثر أهمية .. جلس عمى فى الصالة يجفف عرقه بمنديل كبير ويلهث .. ثم جرع جرعة كبيرة من زجاجة المياه الغازية وتجشأ ثلاثًا .. وقال :

ـ « لقد وجدت أنك نسيتنا .. وأمك فى ورطة حقيقية بينما أنت هنا يا دكتور لا يوجد ما يشغلك من زوجة ولا أولاد .. فقلت لها إن عندها رجلاً كامل الرجولة ولابد أن يكون معها فى لحظات كهذه .. » [صبرًا .. لا يوجد خطأ فى الموضوع .. فلم تكن أمى قد لاقت ربها عندما حدثت هذه القصة .. فقصتى مع (هن ـ تشو ـ كان) تسبق قصتى مع نبات (الموكاسا) .. لكن تأخرى فى سرد الأولى جعلها تأتى بعد الثانية .. عسير علىّ أن أشرح لعمى أننى مشغول مع كاهن من (التبت) مصاب بغيبوبة (السيرجانتا) .. لن يفهم حرفًا دعك من أن يصدقه]..

ـ « أنت تعرف أن أباك رحمه الله ـ الفاتحة على روحه ـ ولا الضالين آمين .. أنت تعرف أن أباك أوصانى بأن أتابع كل التفاصيل فيما يتعلق بتلك البائسة التى لا تفهم شيئًا .. » .

فرغت من قراءة الفاتحة ومسحت وجهى بكفىّ.. ثم بدأت أفهم كل التفاصيل منه ، والأمر يتعلق بخلاف على قيراط أرض يعتقد أخى (رضا) ـ تحت ضغط زوجته طبعًا ـ أنه حقه .. فى حين تعتقد أمى وأختى أنه من حقهما ..

وأنا بطبعى أنفر من هذه النوعية من المشاكل المادية التى تفرّق ما بين أفراد الأسرة الواحدة ، ولم يكن لى علاقة بشىء سوى بنصيب ضئيل دفعت منه أول أقساط سيارتى التى أسدد ثمنها حتى اليوم .. لكن عمى كان متحمسًا .. ولم أرد أن أبدو بشكل المتخاذل الذى يتهرب من الحفاظ على حق أمه ..

إن الأمر سيحتاج كثيرًا من الكياسة لتفادى صدام لا أريده مع (رضا) أخى الوحيد العزيز .. وكثيرًا من العبقرية كى أقنع أمى بأننى لم أظلمها ..

وهكذا ـ ترون ـ تركت ميدان المعركة وارتديت ثيابى قاصدًا قريتى مع عمى ، لكنى لم أنس الاتصال بالمستشفى طالبًا منهم المزيد من العناية بالفتى المريض (هن ـ تشو ـ كان) ....

★ ★ ★

طبعًا هناك العديد من الأسرار العائلية فى الموضوع ، لهذا أرجو إعفائى من ذكر ما حدث وكيف تمت تسويته .. وهذا على كل حال لن يفيد روايتنا فى شىء .. لقد ولّى عهد (أونوريه دى بلزاك) الذى كان يسوّد الصفحات بوصف شكل ومشاعر شخصية .. ثم يتضح لنا أنه يتحدث عن

الخياط مثلا .. وأن هذا الخياط لا دور له فى القصة بعد ذلك بتاتا !.. لقد كان الاستطراد هواية .. أما اليوم فالقارئ ملول لا يريد سوى ما يخدم القصة .. وهذا يناسبنى هذه المرة .. (بالمناسبة !.. سامحونى على هذا الاستطراد الأخير ..!) ..

لقد انتهى الخلاف فى مساء اليوم السابع من مايو .. أى أننى قضيت فى قريتى أقل من يوم ، وعلى طريقة الدبلوماسى الذى يقنع كل طرف بأنه نال قطعة أكبر من الكعكة .. نجحت فى أن أقنع أمى بترك القيراط لـ (رضا) ونجحت فى أن أقنع (رضا) بترك القيراط لأمى ..!..

ثم ودعتهم جميعا ـ أمى وأختى و (رضا) و (طلعت) ـ غير عالم أننى أودع أمى الوداع الأخير .. أنتم تعرفون قصة وفاتها من كتيب سابق لهذا لن أعيد سردها ..

وفى الثامنة مساء ركبت سيارتى عائدا إلى القاهرة ..

* * *

طريق (كفر بدر) المتجه إلى (فاقوس) غير مرصوف .. ويشعرك السير فيه بأنك جالس فى خلاط أسمنت سريع ..

أنت تعرف هذه الطرقات الريفية غير الممهدة ، الضيقة كمسافة بين سطرين ، تحفها من الناحيتين أشجار عجوز تتهدل أغصانها المنهكة ، على حين تجرى على أحد الجانبين مياه قناة أو مصرف تكسوها طبقة كثيفة من الطحالب الخضراء .. وفوق كل جزيرة من هذه الطحالب ترى فقاقيع ماء تروح وتجىء .. وصوت نقيق ذكور الضفادع إذ تحاول الظفر بأمسية صيف دافئة . ومن بعيد ـ خلف الأشجار ـ يلاحق البدر سيارتى ، وعلى وجهه تلك البسمة الوقحة التى أمقتها ..

ذكرنى البدر بالمذءوبين ...

من يدرى ؟.. لربما خلف شجرة ما يرفع أحدهم عقيرته نحو القمر وينتظر .. ينتظر البائس الذى يمشى على قدميه فى هذا المكان المخيف .. سرت القشعريرة فى ظهرى وتنهدت ..

لا يوجد مذءوبون .. أنا واثق من هذا .. بل أثبت الحقيقة بنفسى فى سهول (رومانيا) .. لكنه ـ مرة أخرى ـ الخوف الغريزى غير المبرر من كل ما نجهله ..

إن طابع الرعب المحلى يتباين جغرافيا من مكان لآخر .. فوسط ثلوج (رومانيا) وأشجار الصنوبر المكسوة بالجليد يمكنك أن تحلم بالمذءوبين وتخشاهم .. أما فى (جامايكا) بأمطارها الحارة يكون السحر الأسود

و (الفودو) مناسبين للجو .. القلاع تناسب مصاصى الدماء أكثر .. أما فى قريتى وحقول الذرة فإن الطابع المحلى للأساطير يأخذ تيمة النداهة والجان .. إلخ ..

إن رؤية مذءوب فى ريف مصر أمر شاذ وغير متوقع .. أمر لا (يليق) بالبيئة كأنك ترى عازف طبل بلدى وسط أوركسترا .. أو مباراة تنس جوار مصرف المياه الآسنة فى قريتى .. لماذا تدافعت هذه الخواطر إلى ذهنى فى هذا الوقت ؟.. ربما لأننى - رغم الشيب المحتشد على جانبى رأسى - ما زلت طفلًا .. طفلًا يتسلى بإفزاع نفسه حتى الموت، ويتلذذ بكونه آمنًا داخل السيارة المغلقة فيخلق خياله ألف شبح وشبح خارجها ..

* * *

ومن بعيد لاحت لعينى تلك القباب الصفراء الكئيبة تستحم فى ضوء القمر البارد ..

إنها المقابر .. مقابر قرية (كفور داود) .. وهى بالنسبة لمن يعرف طريق قريتى الوعر علامة على أن ثلاثة كيلومترات تفصله عن (فاقوس)(*) .. وأنا أحب المقابر .. أحب طابع الحزن الصامت المخيم عليها .. وأحب كونها المكان الوحيد الذى يكف ساكنه عن إيذاء الآخرين للأبد ..!

(*) أسماء القرى (كفر بدر) و (كفور داود) وهمية ، فلا داعى لأن يجهد ساكنو (الشرقية) أنفسهم بحثًا عنها ..!

تمتمت بكلمات الفاتحة وأنا أرمق الشواهد البدائية المصنوعة من الطين وقد غطيت بطبقة متآكلة من الجير ، وعليها أسماء ساكنى القبور بخط طفولى مكتوب بالطبشور غالبًا ...

كنت أوشك على الابتعاد حين لمحت عيناى شيئًا ما ... على جانب الطريق - إذا أمكننا تسميته كذلك - كانت تلك الترعة الراكدة بمياهها المغطاة بالطحالب ..

لم تكن ضيقة .. ولم تكن واسعة .. مجرد ترعة بريئة أخرى .. لكننى أدركت أن شيئًا ما يحدث تحت مياهها .. تلك البقعة الغامضة من النور الأصفر تضىء المياه وما حولها ، وتنعكس لتضىء دائرة لا بأس بها من جذوع الأشجار المدلاة فى تراخ حول الترعة وهأنذا أدنو أكثر .. فأكثر ...

وعلى كشافات سيارتى يتضح لى المسرح أكثر ، ويسقط قلبى فى قدمى ذعرًا ..

إن ما أراه لهو سيارة - هيكل سيارة - قد هوت فى مياه الترعة مائلة ، فانغرست مقدمتها وأكثر من نصفها رأسيًا تحت الماء .. وقد ظلت أضواؤها سالمة مرسلة ذلك الضوء العجيب كأنما الترعة تتوهج ذاتيًا .. لابد أن هذا الحادث طازج ما دامت البطاريات لم تنفد أو يتخللها الماء ..

وكذا لم يكن أمامى سوى أن أوقف محرك سيارتى وأترجل ..
فى توجس أدنو من مسرح الحادث .. ببطء وذعر .. ولم
أنس - طبعًا - أن أدس قرص (النيتروجلسرين) تحت لسانى
تحسبًا لما قد أراه .. وعند حافة الترعة توقفت ...

استدرت للخلف فرأيت المقابر صامتة تنتظر على
الجانب الآخر من الطريق كأنها جمهور مسرحية .. وأنا
الممثل الأوحد بها .. ثم عدت أرمق المشهد الذى أمامى ..

السيارة فى وضعها الرأسى وسط المياه تبدو كوحش
أسطورى يرشف المياه ليروى ظمأه .. ثم لن يلبث أن يرفع
وجهه ويرانى .. و عندئذ ....

لكننى دنوت أكثر .. لا أستطيع أن أميز أى شىء من
داخل السيارة .. لكن حتمًا يوجد راكب أو اثنان .. ربّما
أسرة بريئة كاملة .. بالتأكيد لقى السائق حتفه .. ولكن هل
ثمة آخرون ..؟..

وعلى ضوء القمر القاسى استطعت أن أميز ماركة
السيارة .. سيارة (أوبل) من طراز عتيق نوعًا .. على
لوحتها كُتب (ملاكى القاهرة - ٧ .. ٢ .. ٣ .. ٤ .. ٥) ..

أشعلت سيجارة وعلى ضوء اللهب الخافت المنبعث
منها شرعت أتأمل موقفى .. أنا لا أجيد السباحة وأعتبر
طفو إنسان فوق الماء متحديًا كل قوانين الطبيعة - نوعًا
من معجزات الأولياء ..

إذن لا يوجد سبيل أمامى سوى الذهاب إلى قرية
(كفور داود) والعودة بعشرة رجال أشداء مفتولى
العضلات ممن يمارسون معجزة السباحة ليساعدونى فى
إنقاذ هؤلاء التعساء، هذا بالطبع إذا كان هناك من بقى
منهم .....

وهنا سمعت صوت الأنين ....

وعند قدمى أدركت أن هذه الكومة المتشابكة من
الطحالب والطين والثياب الممزقة لم تكن مجرد كومة ..
لقد كانت هناك يد بشرية متشنجة تحاول التشبث بسيقان
نبات (ذيل القط) الذى ينمو بكثرة على حافة الترع ..

وحين انحنيت أكثر أدركت أن هذه اليد تخص كائنًا حيًا
يحاول فى استماتة أن يخرج من الماء ....

كانت يد فتاة ....

* * *



وحين انحنيت أكثر أدركت أن هذه اليد تخصّ كائنًا حيًا يحاول فى استماتة أن يخرج من الماء ..

٢ ـ اسمها (براكسا) ..

الليالى المقمرة عالم ساحر .. هذا بالطبع إذا تغاضينا عن الأشياء المرعبة التى يراها واسعو الخيال ..

وأنا لست واسع الخيال .. لكنى بشر .. ومن أبسط حقوقى الآدمية أن أرتجف خوفًا حين أرى ما يدعو لذلك ..

★ ★ ★

تشبثت يدها بيدى ..

يدها الباردة كالثلج .. المبتلة كأحضان (بوسيدون)(★) ..
سأظل أذكر ما حييت ذلك المشهد الدرامى المصاحب لخروجها البطىء من الماء وشعرها مختلط بالطين والأعشاب ، وجسدها ـ الذى كان مغمورًا كله ـ أشبه بجسد تنين أسطورى يخرج ببطء من المياه ..

أنا عشت موقفًا شبيهًا حين أخرج وحش (لوخ نس) عنقه العملاق من تحت مياه البحيرة ، لكنى ـ أعترف ـ لم أشعر ساعتها بهذا الشعور المقلق الغريب .. فى (لوخ نس) كان

(★) (بوسيدون) أو (نبتون) فى معتقد الإغريق الوثنى هو إله المحيطات .

الفزع مجسدًا وكاملًا وواضحًا .. أما هنا فهناك جوّ رهيب
من الغموض لا أستسيغه كثيرًا ..

(آثار أقدام الدبّ أكثر إفزاعًا من الدبّ نفسه) .. مثل
روسى لم يسمعه الروس من قبل لأننى أنا مؤلفه الوحيد ..
وإننى لا أرجو أن يضمه الأخوة الروس إلى قائمة أمثالهم
المتعلقة بالدببة ..

لهثت .. استجمعت قواى المتهالكة حتى نجحت فى
إخراج باقى الجسد من الماء .. وعندئذ فقط أطلقت يدها
سراح يدى ..

وهناك ـ عند قدمىّ ـ تكورت تلهث وترتجف ..

انحنيت راكعًا على ركبتى وربّتُ على كتفها المبتل ..

ـ « الحادث .. السيارة .. فـ .. فجأة .... » .

ـ « لا عليك .. أنت على ما يرام الآن .. اهدئى بالًا .. » .

كانت فى حال شبه هستيرية ، وتصدر هذه الأصوات
التى يختلط عليك كنهها .. أبكاء هى أم ضحك .. ولا ألومها
كثيرًا فى الواقع ..

ـ « هل أنت مصابة ؟ » .

ـ « لا أدرى .. لا أدرى .. السيارة .. الـ .... » .

ـ « هل كان معك آخرون ؟ » .

ـ « لا .. وح .. وح .... هيييه ! » .

وأخذت تشهق وتزفر وتسعل مرارًا لا حصر لها .. ثم
إنها ألقت برأسها المبتل الذى تفوح منه رائحة الماء
والطحالب على كتف بذلتى الجديدة .. مشكلة أن تكون
شهمًا هى اضطرارك للتضحية بأشياء أخرى غير راحتك
وحياتك .. ربّما اضطررت للتضحية بثيابك أيضًا وهذا
أسوأ ما فى الأمر ..!

ساعدتها على النهوض على قدميها ببطء وهى
ما زالت مستندة إلى كتفى ، وسرنى أنها تحرك أطرافها
جميعًا دون ألم ، فلا يوجد كسر إذن ، وهى متنبهة واعية
فلا يوجد ارتجاج مخ إذن ، دعك من أن يكون هناك نزف
داخلى فهذا احتمال لن يتضح إلا بعد قليل ..

ببطء ساعدتها على السير ..

ـ « إلى أين ؟ » .

قالتها بصوت واهن .. ويا له من سؤال !.. أنا أمقت
الأسئلة الغبية :

ـ « إلى سيارتى طبعًا .. سنقصد المستشفى فى
(فاقوس) أو إذا شئت ..» .

ـ « لا !.. » .

بعصبية لا مبرر لها فى الواقع .. ثم هدأت لهجتها قليلًا
وأردفت :

ـ « أنا بخير .. لا مستشفى أرجوك .. أريد أن .. أبتعد .. » .

ـ « ليكن ... » .

ودنونا من السيارة ففتحت لها الباب الأيمن فألقت بجسدها على المقعد وطوحت رأسها إلى الوراء حتى حسبته موشكًا على أن ينفلت منها ويتدحرج إلى المقعد الخلفى، درت حول مقدمـة السيارة لأجلس فى مقعد السائق ثم أدير المحرك .. كروووورك !.. توتوتوتوه !..

ولم يفتنى أن ألقى نظرة أخيرة إلى مشهد السيارة الغارقة فى الماء بينما أضواؤها تبعثر ذلك الضوء المهيب تحت صفحته ..

وعلى بعد أمتار كانت المقابر ترمق ختام المشهد فى فضول .. خيل لى أنها تتثاءب استعدادًا للنوم بعد انتهاء العرض المسرحى المشوق .. وعادت معالم الطريق تزحف إلى دائرة نور السيارة .. مرافقتى ما زالت تنظر بعينين زائغتين إلى سقف السيارة، وقد ارتخى جسدها كله كوتر كمان تمزق من فرط العزف ..

اختلست نظرة جانبية إليها ..

جميلة هى دون شك .. برغم كل شىء أستطيع أن أميز شعرها الطويل الفاحم .. وأنفها الأقنى .. وشفتيهـا المنفرجتين قليلًا عن صرخة صامتة .. وكانت ترتدى فستانًا فى حال مزرية، لكن من الواضح أنه كان أنيقًا محتشمًا أزرق اللون قبل أن يحوله الحادث إلى خرقة مبتلة تصلح لتلميع الأثاث .. وكانت قد فقدت حذاءها .. وبالطبع حقيبتها ..

سألتها وأنا أثبت عينى على الطريق :

ـ « من القاهرة ؟ » .

ـ « هممممم ! » .

ـ « وما اسمك ؟.. أنا (رفعت إسماعيل) .. طبيب بشرى .. » .

ـ اسمى (براكسا نجيب) .. » .

قالتها وكأنها لاتجد غرابة فى الاسم .. تساءلت عن الاسم من جديد لأتأكد أن سمعى لم يخنى .. فقالت فى شىء من نفاد الصبر :

ـ « (براكسا) .. بـ..ر..ا..كـ..ســ..ا » .

ـ « يبدو أن أباك مولع بالأدب اليونانى .. » .

كنت أتحدث طبعًا عن مسرحية (براكسا) للساخر اليونانى العظيم (أرستوفان) .. وهى المكان الوحيد الذى سمعت فيه اسمًا مماثلًا .. قالت الفتاة وهى ما زالت ترمق الطريق ورأسها راجع للوراء :

ـ « لم يخنك الظن كثيرًا .. الواقع أن أمى يونانية .. وهى التى اختارت لى هذا الاسم .. » .

غريب هو اسم (براكسا) .. غريب ورهيب وأسطورى .. يوحى بشىء ما لا يمكن وصفه .. شىء أزلى كالكون نفسه .. غامض كالظلام .. رهيب كأنشودة الريح عبر الوديان المنسية .. (براكسا) .. أية صعوبات سببها لها اسم كهذا لا يمكن أن يكون الموظفون قد كتبوه كما يجب فى شهادة ميلادها وشهادة تخرجها و ... و ... ؟.. ربّما تحول معهم إلى (برديس) أو (نرجس) أو (براءة) أو أى اسم مشابه ..

ـ « وماذا جاء بك إلى هنا يا آنسة .. أو هل أقول (يا سيدتى) ؟ » .

ـ آنسة .. وجئت هنا لأن .... »

وصمتت هنيهة .. نظرت نحوها بطرف عينى لأعرف لم صمتتْ .. لمحتُ شفتيها تختلجان .. وتكوّرت تفاحة آدم فى عنقها فأدركت أنها تبتلع ريقها قبل أن تجيب .. ثم إنها تنهدت وهمست :

ـ « .. أرجوك لا داعى لرفع الكلفة .. إن لى أسبابى الخاصة التى أرجو إعفائى من ذكرها .. » .

شعرت بالدم يحتشد فى أذنىّ خجلًا .. يا لى من متطفل سخيف ..!.. ليكن إذن .. هذه الفتاة لا تحب التدخل فى خصوصياتها باعتبار وجودها فى سيارة على طريق (كفر بدر) اللعين وحدها ليلًا أمرًا لا يثير الفضول .. هل كانت تزور أقاربها ؟.. لا يبدو هذا التفسير مستساغًا لى ...

على كل حال الوقت يمضى .. مددت يدى إلى علبة التبغ وسحبت سيجارة ولم أنس أن أقرب العلبة منها فجذبت لفافة تبغ لنفسها .. هى إذن من الطبقة التى تدخن فيها النساء .. وهما طبقتان فى (مصر): طبقة الفتيات المدللات رائدات أندية التنس و (بابى) و (مامى) ، وطبقة نساء الأحياء الشعبية الفقيرة .. إذن فهذه الفتاة ـ بالاستبعاد ـ مدللة تعانى من الفراغ والملل وتتسلى بقراءة الوجودية قبل النوم(*) ..

قربت عود الثقاب المشتعل من طرف لفافتها .. وتأملت وجهها على ضوء اللهب المتراقص .. كانت شاحبة إلى حدّ غير عادى .. وثمة هالات سوداء على جفنيها السفليين .. هذا شىء متوقع بالطبع ..

وهنا وجدت عينيها مرفوعتين نحوى تتفحصانى بنفس الاهتمام !.. أجفلتُ واعترانى الحرج والارتباك ... ، ثم إننى قربت اللهب من طرف لفافة تبغى .. وتصاعد الدخان الأبيض ، وعدت أركز عينى على الطريق ...

ـ « كيف سقطت السيارة فى الماء ؟ » .

(*) كانت الوجودية هى الموضة فى تلك الأيام .. أيام (فيتنام) وثورة الشباب و (الهيبز) وفن البوب .

سعلت قليلًا من صدر واضح أنه اعتاد الدخان .. وقالت بإنهاك :

ـ « لا أدرى .. لو عرفت ما حدث لتجنبته .. كنت مسرعة ولم أدر أين تبدأ الترعة وأين تنتهي .. فجأة لم أجد أرضًا تحت العجلات .. لا شيء سوى الظلام .. مياه باردة تتسرب إلى صدرى .. فتحت باب السيارة وكافحت عبر المياه حتى أصل إلى جانب البركة .. و ..... » .

ساد الصمت بضع دقائق .. ثم إننى سألتها :

ـ « هل جئت لزيارة المقابر ؟ » .

ـ « نعم ... » .

ـ « ولماذا ؟ » .

مرة أخرى تعيد رأسها للوراء مريحة إياه على مسند الرأس .. وتنهدت :

ـ « إن أبى هناك ... » .

★ ★ ★

القاهرة .. يا مدينتى العجوز المنهكة ..

الشوارع ما زالت مزدحمة برغم أننا فى منتصف الليل .. إنه ليل الصيف الحار الذى يطرد الناس طردًا إلى الطرقات .. وزحام الأضواء الباهرة الملونة بينما صوت (أم كلثوم) يتردد من مكان ما يشدو (هذه ليلتى) ....

وكانت الفتاة ـ عليها اللعنة ـ قد أحرقت خمس لفافات تبغ من علبتى ، ووجهت لى مائة رد مُسكت على أسئلتى الفضولية .. لماذا تتصور هذه الحمقاء أننى أتطفل أو أحاول مغازلتها ؟.. لقد صرت كهلًا منهكًا لا يفكر فى شيء سوى حاجته الماسة إلى النوم .. ولولا بقية من حياء عندى لقلت لها إنها لا تمثل لى سوى عقبة فى طريق العودة إلى دارى .. فالعشاء .. فالحمام .. فالنوم إلى ساعة متأخرة من صباح غد .....

أشد ما يثير حنقى هو أن تفترض فتاة سوء النية فيك بينما أنت لا تعبأ بها أصلًا .. وتبدأ فى تفسير تهذيبك وعنايتك الرجولية على أساس من خيالها المريض النرجسى ..

ـ « إلى أين تريدين أن أصحبك ؟ » .

قلتها وتوقعت أن تقول لى (الزمالك) أو (جاردن سيتى) .. لكنها لم تقل شيئًا من هذا ...

ـ « كل الأماكن تتساوى عندى ! » .

ماذا ؟.. هذه الفتاة ـ إذن ـ فيلسوفة عبثية من تلاميذ (كامى) لا تجد فارقًا بين أى وضع وآخر .. أو هى مخبولة تمامًا وأنا أميل إلى ترجيح هذا الاحتمال الأخير .. إن الفلاسفة لا يمشون فى المقابر ليلًا ....

- « ماذا تعنين بالضبط ؟.. أين عنوان دارك هنا ؟ » .

- « ليست دارى هنا .. ولا فى أى مكان على وجه الأرض ! » .

نظرت لها فى حيرة .. كانت محتفظة بذات الوضع العجيب .. حتمًا هى مصابة بصدمة عاطفية من هول ما رأته .. فلأكن بها رفيقًا ..

- « إذن .. من أين جئت ؟ » .

- « جئتُ من حيث وجدتني .. » .

وابتسمت ابتسامة غامضة دون أن تنظر نحوى .. وأردفت :

- « .. جئت من المقابر ...! » .

* * *

٣ - غريبة الأطوار ..

الليالى المقمرة عالم ساحر .. هذا بالطبع إذا تغاضينا عن الأشياء المرعبة التى يراها واسعو الخيال ..

وأنا لم أر شيئًا غير عادى .. لكن كلام هذه الفتاة لم يرُق لى كثيرًا .

* * *

سألتها في نفاد صبر :

- « إذن أين تتوقعين أن آخذك ؟ » .

- « لا أدرى .. » .

سئمت هذا الجنون .. من حقها المطلق أن تجنّ وأن تصاب بالانهيار العصبى .. وأن تعتقد أن مكانها هو حيث دُفن أبوها ، لكن ما ذنبى أنا فى كل هذا ؟.. أنا الكهل اليائس الذى لا يرجو من الناس سوى تركه وشأنه ..

- « إذن انزلى هنا ! » .

قلتها لها بغلظة ضاغطًا على الفرملة وأوقفت السيارة على جانب الطريق .. توقعت منها احتجاجًا ما .. لكنها فتحت الباب المجاور لها ببساطة وترجلت .. أدرت المحرك فى عصبية وكنت أبتعد حين ....

آه أيها الضمير الراقد كالثعبان فى أعماقى !.. تبًا لك !.. لماذا تحركت فى بطء لتلومنى على ترك هذه الفتاة المنهكة الكليمة وحيدة فى شوارع القاهرة بلا نقود ولا حذاء ؟!..

وجدتنى أتقهقر للوراء وأجنب فرملة اليد .. ثم أهيب بها أن تركب ثانية ولم تكذب هى خبرًا ففتحت الباب وألقت بنفسها على المقعد ..

– « إذن لا مكان تنتوين المبيت فيه الليلة ؟ » .

– « تؤ ! » .

– أصدرت بشفتيها هذا الصوت المعرب عن الرفض المتضجر ..

– « أنا أعيش وحدى ولن أستطيع اصطحابك لدارى .. » .

– « تؤ ! » .

– « إذن أسلمك إلى قسم الشرطة وهم قادرون على العناية بك .. » .

– « لا .. أرجوك ! » .

فليكن .. سآخذها إلى أحد الفنادق وأحجز لها غرفة على حسابى .. يمكننى غدًا أن أمرّ لأجدها فى حال معنوية أفضل تسمح بالتفسير ..

* * *

وكان أول فندق دخلناه راقيًا إلى حدّ ما .. موظف الاستقبال شاب وسيم مملوء بالحيوية – فى منتصف الليل – حيّانا فى حرارة .. فقلت له :

– « نريد غرفة للآنسة .. » .

طلب أوراقها الشخصية فلم يجد .. بدا متشككًا مرتابًا وتبدّل أسلوبه فى ثوان إلى التحفظ المهذب .. ثم قال إنه آسف وإنه يعتقد أن ذلك مستحيل حتى بالضمان الشخصى منى ..

شكرناه ، وخرجنا نجوب المدينة الواسعة بحثًا عن فندق يقبل فتاة دون أوراق رسمية .. هناك فنادق تقبل ذلك وأكثر لكنها مملوءة بالبق .. وسمعتها ليست فوق مستوى الشبهات ، آخر فندق من هذا النوع أقمت فيه منذ أعوام .. وكان خادم الفندق يفتش غرفتى ركنًا ركنًا وأنا أتظاهر بالنوم .. ثم يقسم – بالطلاق – أنه لم يدخل غرفتى وأن الفندق مسكون ..

إنها الواحدة صباحًا ....

ولا أمل يدلّنى على إمكان التخلص من هذه الكارثة ..

* * *

فى النهاية استجمعت شجاعتى واقترحت عليها أن تبيت الليلة فى دارى .. فقد نام الجيران والبواب ، ولن يكون عسيرًا أن تتسلل إلى هناك ..

- « وأنت .. أين تبيت ؟ » .

- « سأجد مخرجًا .. أنا رجل ، وشوارع المدينة ترحب بالرجال بعد منتصف الليل .. لكنها تقسو على النساء أيما قسوة .. » .

توقعت أن تشكرنى وتصارحنى كم أنا رائع .. لكنها لم تقل شيئًا مما دعم من وجهة نظرى بخصوص كونها مدللة غير ناضجة .. وهى تتوقع أن من حقها الحصول على كل ما يتطوع الآخرون بتقديمه لها .. ، فإذا أنا تركت لها دارى فلأننى ذكى وأعرف ما ينبغى أن أفعله ..

أوقفت السيارة أمام مدخل البناية المظلمة .. ونزلت منها ومسحت شرفات الحىّ بعينى لأتأكد من أن أحدًا لا يقف فى شرفة داره..ثم تأكدت من أن غرفة البواب – فى المدخل – مغلقة ، لا أريد إفساد سمعتى بعد كل الأعوام التى حاولت فيها أن أقنع الجيران بأننى ملاك أصلع الرأس ..

- « بست !.. هيا ! » .

ناديتها بذلك الهمس المسموع .. فنزلت من السيارة وتقدمت داخلة من المدخل المظلم ..

حافية القدمين لحسن الحظ فلا تحدث قرقعة الكعبين الأنثويين الكفيلة بإيقاظ الموتى .. خفيفة الحركة كالثعلب تسرع إلى صعود درجات السلم الرخامية خلفى .. وقلبى يتواثب كالطبل فى صدرى ..

- « ألا يوجد مصعد ...؟ » .

- « ششششت ! » .

وسبقتها إلى باب شقتى ففتحته حتى لا تقف هى على الباب فترة .. فما إن انسلت إلى الداخل حتى سمعت صوت باب ينفتح فى الطابق السفلى .. فهرعت أنظر من أعلى ليرانى هذا المتلصص .. وجدت وجه الأستاذ زكريا – الحانق دائمًا كأحد آلهة (الأوليمب) – ينظر لى من أسفل .. ابتسمت فى حرج لكنه لم يبتسم .. وسمعته يقول:

- « (د. رفعت) !.. أريد الكلام معك حالًا ! » .

- « ألا يمكن الانتظار حتى الصباح ؟ » .

- « لا .. الأمر يتعلق بسمعة وسلامة هذه العمارة!» .

- « إذن لا تصعد !.. أنا آت إليك ! » .

وواريت الباب خلف الفتاة وهرعت أنزل درجات السلم واجف القلب ..لن أستطيع أبدًا تبرير وجود هذه الفتاة.. إنها الفضيحة القاضية على سمعتى.. سيعرف هذا الرجل أن شكوكه كانت حقيقية وسيوقن عمى أنه لم يأثم بسوء الظن..

سأتحول إلى الوباء الذى تخشاه كل الأسر هنا .. ويا لها من كارثة !.. أنا المتحفظ المنغلق المتظاهر بأنه يحمل كبرياء الطب ذاته ..

ها هوذا يقف على باب شقته يرمقنى فى ارتياب .. ها هوذا ينظر لأعلى .. ثم ينظر لى .. ويوارب باب الشقة حتى لا يسمع أحد من (حريمه) ما سيقوله لى من مواضيع مشينة بالتأكيد ..

- « كنت أريد أن أقابلك لأقول لك ... » .

- « خيرًا إن شاء الله ؟ » .

- « أنت تعرف عاقبة العبث ! » .

- « لاسمح الله ! » .

- « وبرغم ذلك .. برغم ذلك ..... » .

وارتجف من الانفعال باحثًا عن الكلمات .. ثم استطرد :

- « برغم ذلك كدت تقتلنا جميعًا بهذه المغامرة اللعينة مع هؤلاء الآسيويين الذين هاجمونا فى عقر دارنا ..! » .

آههههه !..

إنه يتكلم عن (هن - تشو - كان) ومغامرة القتلة الذين كانوا يريدون كتاب (الشوكارا) .. نسيت هذا الموضوع تمامًا ونسيت أن الكاهن الأخير ما زال فى العناية المركزة .. وأنا الذى ظننته يتحدث عن .... حمدًا لله !..



وسبقتها إلى باب شقتى ففتحته حتى لا تقف هى على الباب فترة ..

- « بالمناسبة .. كيف حال ذلك الفتى البائس ؟ » .
- « ما زال فى غيبوبة .. لكنه حىٌ على الأقل .. » .
- « أرجو له الشفاء .. والآن أتمنى لك ليلة طيبة .. ولا تنس ما قلته لك .. أنت مسئول عن الآخرين كما أنت مسئول عن نفسك ..» .
- « سأتذكر هذا .. عمت مساءً يا سيدى .. » .

وصعدت السلم غير مصدق أننى نجوت ..!

* * *

أغلقت باب الشقة فى هدوء ، ودخلت لأجد الفتاة واقفة تتأمل تماثيل (الزولو) الموضوعة على البوفية ..

دخلت غرفة النوم فأخذت كل النقود التى أضعها فى الخزانة ، وجمعت بعض الأشياء التى قد تكون ثمينة فوضعتها فى جيبى .. ثم أغلقت الغرفة التي تحوى جهاز التسجيل والمكواة بالمفتاح ودسست هذا الأخير ـ أيضًا ـ فى جيبى .. فمن أدرانى أن هذه الفتاة ليست لصة ؟.. من الحماقة أن أترك شقتى لمن رأيتها أول مرة منذ ثلاث ساعات .. وعلى كل حال لا أظنها قادرة على سرقة الفراش أو الثلاجة حتى لو أرادت ..

وخرجت لها حيث وقفت فى ضوء الصالة تتأمل ذات التماثيل .. فأخذت بيدها الباردة المترددة إلى الداخل .. وشرعت أشرح لها :

- « ترين .. ها هى ذى غرفة النوم .. ستنامين بثيابك أو بمنامتى التى تركتها لك على الفراش .. هنا الثلاجة وبها بقايا طعام وبعض البيض .. لا تنسى إطفاء الموقد .. الحمام من هنا .. والآن وداعًا .. سأعود صباحًا .. لا تحاولى إغلاق الرتاج لأنه ليس عندى واحد !.. اعتدت منذ بضع سنوات أن أغلق باب الشقة بالمفاتيح من الداخل عند النوم .. وأنا لن أترك لك المفاتيح لأننى لا أثق بك طبعًا ! » .

وتركتها واقفة أمام الحمام .. مبعثرة الشعر .. حافية القدمين .. مشوشة الفكر ، وواربت الباب الخلفى .....

* * *

بالطبع لم أذهب بعيدًا ..

لماذا أذهب بعيدًا ما دام جارى (عزت) غير متزوج ومولعًا بالسهر ؟.. مررت بتؤدة إلى الشقة المجاورة وقرعت الجرس دون كياسة .. فسمعت عبارات السباب من الداخل .. وأضاء (عزت) مصباح السلم .. ثم فتح الباب ليسألنى فى حنق :

- « ماذا هنالك يا (رفعت) ؟ » .
- « أنه ذلك المفتاح اللعين مرة أخرى .. أظن أننى سأبيت عندك الليلة ..» .
- يا لك من مزعج !.. ادخل ..» .

كانت شقته قد تحولت إلى (أتيليه) صريح عامر بالتماثيل فى مرحلة الإعداد أو الانتهاء منها .. وبصعوبة وجد لى مكانًا أجلس فيه .. أرجو ألا يسألنى عن رأيى فى تماثيله، فالحقيقة هى أننى لم أحبها قط، إنه يحاكى الطبيعة أكثر من اللازم .. وأنا لا أحب الفنان (الكاميرا) .. من المفترض أن يحدث تطور واسع لرؤية الفنان للواقع منذ عهد (مايكل أنجلو) حتى الآن .. أما أن يقضى هذا الفتى وقته فى محاكاة تشريحية محكمة للواقع فأمر لا أستسيغه بحال ..

شرع يثرثر عن أعماله الرائعة حتى دنا الفجر .. وأنا أريد أن أنام ..

وهكذا جاءت اللحظة التى أغمضت فيها عينى متجاهلًا قواعد اللياقة تمامًا .. كم من الوقت نمت ؟.. لا أدرى ..

لكننى فتحت عينى لأجدنى نائمًا فوق أريكة عتيقة فى الصالة وفوقى ملاءة ممزقة .. وكانت الشمس تأتى من مكان ما .. وعند رأسى وجدت (عزت) يهز كتفى فى كياسة حتى لا يفزعنى ..

ـ « (عزت) .. ماذا حدث ؟ » .

ـ « لا شىء يا (رفعت) .. لا تخف .. لكنى أعتقد أن أشياء غير عادية تحدث فى شقتك الآن ! » .

★ ★ ★

٤ ـ وحين تختفى ..

الليالى المقمرة عالم ساحر .. هذا بالطبع إذا ما تغاضينا عن الأشياء المرعبة التى يراها واسعو الخيال ..

و (عزت) فنان .. ولأنه فنان فهو حتمًا واسع الخيال .. وإننى لأسائل نفسى عن حقيقة ما رآه .....

★ ★ ★

جلست أفرك جفنى محاولًا أن أصحو .. ووضعت النظارة على أنفى فعادت الموجودات تتحسن .. كجهاز تليفزيون يعمل دون هوائى ثم قمت بتركيب الهوائى له !...

ـ « تقول أشياء غير عادية ؟ » .

كان منفعلًا إلى حدّ غير عادى لكنه يتظاهر بالاتزان .. وقد قال لى وهو يركع على الأرض جوارى :

ـ « فتحت بابى منذ ساعتين لأتخلص من القمامة .. وما إن خرجت إلى بسطة السلم حتى خيل لى أن شيئًا غير عادى يحدث .. دققت البصر أكثر فرأيت ضوءًا أحمر يخرج من فرجة الباب السفلى لشقتك .. ضوءًا أحمر يتحرك بإصرار .. » .

واتسعت عيناه ونبتت قطرات عرق على جبينه ..

ـ « .. ظننت أنها ظاهرة بصرية ساعد الإرهاق والظلام على إيجادها .. فتجاهلت الأمر ، ثم عدت أواصل عملى هنا جوارك بعد ما غطيتك بملاءة .. كان نومك عميقًا كمومياء (أمنمحات) .. لهذا تركتك وخرجت للشرفة .. لم يكن الفجر قد أشرق بعد .. لهذا كان غريبًا أن أرى ذات الضوء الأحمر خارجًا من نافذتك المغلقة ما بين خصاص الشيش .. بل وكان يفترش الشرفة قادمًا من فرجة الباب السفلى .. (رفعت) .. أنا لا أعرف ما فى شقتك لكنه ـ حتمًا ـ شىء مضىء كالشمس .. وضوؤه أحمر باهر كستائر مصاصى الدماء .. فما هو ؟ » .

أى كلام بلا معنى يردده هذا المعتوه ؟.. ضوء أحمر فى شقتى ؟.. لا يوجد عندى أى مصدر له ..

ثم إننى تذكرت الفتاة .. (براكسا) .. ماذا فعلته هذه المخبولة حين تركتها وحيدة ؟.. أتراها أشعلت حريقًا أو أشعلت الموقد ونسيته ؟.. أم ....

ـ « ولماذا لم توقظنى عندئذ ؟ » .

ـ « حاولت ولكنك كنت نائمًا مثل ... » .

ـ « .. أعرف .. أعرف .. مثل مومياء (أمنمحات) .. » .

ـ « بل كالدب القطبى فى (فبراير) .. ثم كانت هناك الضوضاء ! » .

ـ « ضوضاء ؟» .

ـ « كان هناك شىء يصطدم بباب الشقة بإصرار مريب .. ليس بقوة ولكن بإصرار كأنك حبست قطًا هناك .. » .

كان الموضوع قد بلغ حدًا لا يطاق ..

وهرعت إلى مفاتيح الشقة فتناولتها لأفتح الباب وأعرف ما هنالك .. كاد (عزت) يلحق بى ليروى فضوله ، لكنى سددت الطريق أمامه .. قائلًا له أن ينتظر حتى أعود إليه وأن يراقب السلم بعناية ..

وبيد ملهوفة زججت بالمفتاح فى الكالون .. ودخلت .. لم يكن الظلام دامسًا بالداخل لأن النهار بدأ يتسرب من نافذة المطبخ والحمام .. لهذا لم يكن عسيرًا أن أرى الصالة ، ولا أدرى لماذا آثرت الصمت ..؟..

★ ★ ★

« ليست دارى هنا .. ولا فى أى مكان على وجه الأرض ... » .

★ ★ ★

كانت غرفة النوم مفتوحة .. فدنوت منها فى حذر ونظرت عبر الباب .. لم تكن هناك .. كان الفراش مرتبًا كأفضل ما يكون ، وقد تمّ طىّ منامتى فوق الوسادة بتلك الطريقة المنمقة الأنيقة التى لا تأتى إلا من يد أنثى .. ولم يكن صعبًا أن أستنتج أنها نامت بها من الثنيات الواضحة فى النسيج ورائحة (الشانيل) التى تفوح منها .. تفقدت الشقة فلم أجد أثرًا لها ..

فتحت الثلاجة فوجدت البيض كاملًا والجبن وفخذ الدجاجة فى نفس الحال التى تركتهما عليها .. هى .. إذن - لم تصب شيئًا من الطعام .. حتى الحمام كان غير مبتلّ والصابونة جافة تمامًا ..

إذن هى صحت مع الفجر فبدلت ثيابها وخرجت فى سكون .. دون أن تأكل شيئًا أو حتى تغسل وجهها ....

ترى هل استعادت روعها أم أن هذه المغادرة المفاجئة هى نوع آخر من انهيارها العصبى ؟.. كان المفترض أن تنتظر عودتى لتوجه لى عبارة شكر .. أو تطلب منى تسهيل خروجها .. أو على الأقل تطلب منى شراء حذاء لها .. غريبة الأطوار هى .. غريبة الأطوار ومجنونة قليلًا ..

لكنى تساءلت بينى وبين نفسى : ترى هل أراها ثانية ؟

* * *

عدت إلى (عزت) وأخبرته أن لا مشكلة هنالك ..

- « ليكن .. والآن يمكننى أن أنام ملء جفونى .. دعنى أؤكد لك أننى لا أخرف ولست من النوع الذى يستسلم للرؤية الهستيرية : أقسم لك إننى رأيت هذا الضوء وسمعت تلك الضوضاء ... لكن ما دامت شقتك بخير ولم تحترق بعد فأنا مطمئن .. و ..... » .

ثم نظر إلىّ فى شك وقطب حاجبيه وقد تذكر شيئًا :

- « لحظة !.. كيف دخلت شقتك وأنت قلت لى أمس إن مفتاحك لا يستجيب ....؟! » .

يا لشرود ذهنى !.. صحيح أن الكذب ليست له قدمان .. لكن المزيد من الكذب ليس عسيرًا ..

قلت له فى سرعة :

- «كنت منهكًا وجرّبت المفتاح الخطأ .. هذا هو كل شىء ..» .

- « يا لك من رجل عصبى عجول يا (رفعت) ..!.. هذه الأشياء لا تحدث إلا لك » .

كم أحبك يا (عزت) ..!.. بمرضك العضال وغرابة أطوارك .. من المؤسف أن مواعيدنا متناقضة تمامًا وإلا لصرنا صديقين لا نفترق .. إن الوطواط لا يعيش مع العصفور أبدًا .. الوطواط الذى يسهر الليل كله وينام

النهار .. والعصفور الذى ينام الليل بطوله ويسهر النهار إذا صحّ هذا التعبير .. ثم إنك لاتستقرّ فى دارك .. على الأقل حينما أقرع بابك .....

تمنيت له نومًا طيبًا وتركته عائدا إلى شقتى .....

★ ★ ★

مضيت أتفقد الشقة باحثًا عن أى أثر للفتاة فلم أجد . كأنها طيف عبر المكان ورحل دون آثار مادية .. حتى أننى بدأت أتساءل عما إذا كنت رأيتها حقًا .. لربّما كانت ليلة البارحة وهمًا كلها .. ولربّما .....

ثم ما هو موضوع تلك الأضواء التى يزعم (عزت) أنه رآها ؟.. من الوارد أن يكون مخرفًا .. ولكن ما الصدفة التى تجعله يخرف فى هذه الليلة بالذات ؟.. إننى مرتاب بطبعى وأومن بأننى مصاب بنوع خاص جدًا من النحس يوقعنى فى شراك كل ما هو غريب .. وغير عادى .. ومرعب ... لم أجد جوابًا عن أسئلتى ..

وكانت عقارب الساعة تشير إلى التاسعة صباحا .. أدرت قرص الهاتف طالبًا سنترال قريتى .. وبعد ربع ساعة من المحاولات الخرقاء أتانى صوت عامل الهاتف يصيح فى وقاحة :

ـ « آلوووووووه ! » .

ـ « أوصلنى برقم (٨) وحياة والدك .. أرجو أن تسرع قبل أن ينقطع الخط .. » ومرت ثوان متوترة .. ثم سمعت صوت الحاج (دياب) يسأل عامل السنترال عما هنالك ، وتداخلت الأصوات .. إلى أن استطعت أن أخبره أننى (رفعت إسماعيل) ، وأننى أريد منه أن يسأل أخى (رضا) عن أية حوادث سيارات عند ترعة (كفور داود) ، وأن يتصل بى هو ظهرًا لأن ذلك سيكون أكثر سهولة ...

وبمجرد أن أنهيت هذه الحرب ، بدأت أستعد للذهاب إلى الجامعة فقد حان ميعاد العمل ....

★ ★ ★

منهكًا مضعضعًا من جراء ليلة قلقة ؛ بدأت يومى بالمرور على (هن ـ تشو ـ كان) فى العناية المركزة لأطمئن إلى أنه لم يمت .. ثم اتجهت إلى مبنى الأمراض الباطنية العتيق المتداعى .. صاعدًا فى درجات السلم إلى الغرفة التى ثبتت عليها لوحة تقول (أ . د رفعت إسماعيل) .. وتحتها لوحة أصغر : (وحدة أمراض الدم) ..

الحق أقول لكم إن هذه (الوحدة) لم يكن بها سوى طبيب واحد هو أنا الذى أصررت ـ بعد عودتى من (أسكتلندا) ـ على تكوينها ، ولم تكن بها أجهزة سوى

مجهر سوفيتى الصنع عتيق جدًا .. وبضع شرائح زجاجية وزجاجات صباغة .. وإبرتين من إبر بذل النخاع العظمى ..

كنت أعشق الدم .. ليس إلى درجة شربه طبعًا لكن إلى درجة الوله .. خاصة وأمراضه لها مذاق خاص متميز بين علوم الطب .. وأجد فيها الترابط المنطقى والتسلسل الذى تفتقر إليه بقية الفروع ..

كنت أحب عملى وأفخر به ..

لكنى - أعترف - لا أزال أحسب نفسى هاويًا فى دنيا الطب .. مجرد طفل يجمع الفراشات الجميلة والغريبة لكنه لا يجرؤ على بيعها ..

بهذا المنطق لم أجد الشجاعة قط كى أفتتح عيادة خاصة .. كيف أبيع للناس خبرات أومن بأنها لم تكتمل بعد ؟.. أى قناع سأرتديه - أنا الطفل المنبهر بكل شىء - أمام المرضى لأقنعهم بأننى العليم بكل شىء ؟.. لقد اعترف أحد الأطباء العظام - لعله (ويليام أوسلر) - أنه أخطأ فى تشخيص تسعين فى المائة من الحالات التى فحصها فى حياته .. وقد أدرك هذا فوق منضدة التشريح ! فأين أنا من (ويليام أوسلر) ؟!

إن امتلاك عيادة شبيه بامتلاك زوجة .. كلاهما يحتاج إلى ثقة مفرطة بالذات .. والإيمان بأنك قد كبرت وصرت خطرًا كالآخرين ..

و ..... معذرة !.. هأنذا أعود للإطناب بعيدًا عن الموضوع مرة أخرى !.. سامحونى .. فنحن بشر .. وجميعنا لا يقاوم لذة الحديث عن نفسه أبدًا ..

أعود للموضوع إذن ....

جلست فى مكتبى أتفقد صحف الصباح بنظرة سريعة عجول .. كان هناك خبر عن العثور على جثة المهندس الذى شوهد يسقط فى النيل منذ ثلاثة أيام، لم أكن طبعًا أعرف شيئًا عن هذا الموضوع لأننى كنت غارقًا إلى أذنى فى مشكلة الكاهن الأخير .. والخبر على كل حال يقول إن المهندس (محمود أبو زيد) البالغ من العمر خمسين عامًا قد شوهد واقفًا مع شخص آخر فوق الجسر منذ ثلاثة أيام . رآهما أحد رجال الشرطة فى الظلام الدامس (فقد حدث هذا عند منتصف الليل) .. ويقول الشرطى إنه شاهد التحامًا بين الرجلين، ثم رآهما يقفزان متلاحمين فى الماء .. وهو لا يفهم ما إذا كان أحدهما قد أجبر الآخر على الوثب أم أن هذا كان انتحارًا ثنائيًا فريدًا من نوعه .

الخلاصة أن رجال الإنقاذ تمكنوا من انتشال جثة المهندس - وقد تعرفه أهله - لكن ما شد انتباه الجميع كان هو وجهه .. بالطبع لابد من أن يكون منتفخًا متقلصًا متشمعًا .. كل هذا متوقع برغم بشاعته .. الجديد



كان هناك خبر عن العثور على جثة المهندس الذى شوهد يسقط فى النيل منذ ثلاثة أيام ..

فى الأمر ـ يزعمون ـ هو أن علامات الشيخوخة كانت قد غزت ملامحه إلى حدّ لا يوصف .. بل وأن شعره ابيض كالثلج وكان فاحم السواد ..

خبر صغير نجحت الصحيفة ـ كالعادة ـ فى تهويله محاولة جعله قضية الساعة ، لكنى لم أر أى شىء غريب فى شيب الشعر .. فكم من ماركيزات الثورة الفرنسية ابيضت شعورهن عشيّة موعدهن مع المقصلـــة .. والساخر الأمريكى العظيم (مارك توين) استحال شعره للون الأبيض وهو يرمق حريقًا على ظهر سفينة فى الماء .. والسبب أن أخاه كان على ظهر هذه السفينة المنكودة .....!

نعم .. لا أرى شيئًا غريبًا فى شيب الشعر المفاجئ .. لكنى أرى كل الغرابة فى سببه !.....

ما الذى رآه هذا الفقيد وأثار رعبه إلى ذلك الحدّ ؟!..

وتنهدت ....

لكم من أسرار يحوى هذا الكائن الغامض الصموت : الليل !.. حتى أنا قابلت بالأمس لغزًا .. وكان هذا اللغز

يُدعى (براكسا) .. جاءت حين جاء الظلام ورحلت حين رحل .. ولم تترك لى أثرًا أقنع به نفسى بأننى لم أكن أخرف .....

طويت الصحيفة وأغمضت عينى وتمنيت أن أراها من جديد .. لم أكن أعرف أن أبواب السماء قد انفتحت لأمنيتى .. وللمرة المليون أقول إننى كنت ساذجًا حين تمنيت ذلك .. ففصول القصة لم تكن قد انتهت بعد .. بالأحرى كانت فى بدايتها ....

★ ★ ★

٥ ـ أشتاقها !..

نعم .. الليالى المقمرة عالم ساحر .. هذا بالطبع إذا ما تغاضينا عن الأشياء المفزعة التى يراها واسعو الخيال ..

ولكن ما دخلى أنا بكل هذا ؟!..

★ ★ ★

« أرجوك لا داعى لرفع الكلفة .. إن لى أسبابى الخاصة التى أرجو إعفائى من ذكرها .. » .

★ ★ ★

« تـؤ ! » .

★ ★ ★

« (رفعت) .. أنا لا أعرف ما فى شقتك لكنه ـ حتمًا ـ شيء مضيء كالشمس .. أحمر باهر كستائر مصاصى الدماء .. فما هو ؟! » .

★ ★ ★

« تـؤ ! » .

★ ★ ★

لا أدرى لماذا ظلّت صورتها وهى مرجعة رأسها للوراء وتطلق الدخان من بين شفتيها المنفرجتين قليلًا ، لماذا ظلّت هذه الصورة تؤرقنى طيلة اليوم ..؟.. بل – ولا تضحك أرجوك – ضبطت نفسى وأنا أحاول أن أقلدها فى التدخين بذات الطريقة !..

وسألنى زميل عما إذا كنت كتبت تقريرًا عن حالة (التصلب النخاعى) التى فحصناها منذ أسبوع .. فقلت :

– « تؤ ! » .

الواقع أن الفتاة كان لها تأثير هائل في روحى ..

يقول من ذاقوا النبيذ – حفظنا الله من أذاه – إن له طعمًا مرًا كريهًا تأباه النفس فى المرة الأولى .. ثم لا تلبث أن تتعوده فتحبه فتحتاج إليه .. ومن ثم يأتى الإدمان ..

و (براكسا) كان لها مذاق كريه منفّر بالنسبة لى فى اللقاء الأول .. لكنى اليوم لا أجده كريهًا إلى هذا الحدّ ..

فهل – إذا جنّ الليل – أجدنى أحتاج إليها ؟.. فأدمنها ؟

★ ★ ★

حين عدت لشقتى ظهرًا شعرت – للمرة الأولى – بعدى الخواء الذى أحيا فيه وبه وله ...

لقد وجد الآخرون هدفًا لحيواتهم .. فمنهم من قرر أن يمضى هذه الساعات يجمع المال فى عيادته ، ومنهم من عاد إلى داره ليتشاجر مع امرأته ويسومها الخسف ، ومنهم من وثب إلى أقرب حافلة أو عربة (مترو) لينشل ما تيسر له من محافظ الركاب ..

واحد فقط يحيا بلا هدف ..

واحد فقط يصارع الملل واللاجدوى ..

وهذا الواحد يُدعى (رفعت إسماعيل) ......

وهنا دق جرس الهاتف فهرعت أردّ عليه قبل أن يقتلع أعصابى من جذورها .. تبًا لهذا الاختراع الشنيع !

– « (رفعت) !.. هذا أنت ؟.. أنا (رضا) .. » .

– « (رضا) من ؟ » .

– « سبحان الله !.. أخوك طبعًا ! » .

آه !.. كنت قد نسيت الأمر برمته .. فلنر ما سيقوله لى عن الحادث الذى – ولابد – تعرف (فاقوس) كلها بأمره الآن :

– « لا أدرى ما يعنيك فى الأمر ؟.. على كل حال لقد حضرت النيابة وانتشلوا الجثة .. » .

– « أية جثة ؟ » .

– « جثة سائق السيارة طبعًا ! » .

جلست على أريكة ، وبيد واحدة أخرجت علبة تبغى وسحبت منها لفافة .. وتساءلت :

ـ « لحظة يا (رضا) .. هل أنت واثق من كلامك ؟.. الحادث عند ترعة (كفورداود) .. جوار المقابر .. سيارة (أوبل) قديمة ... » .

ـ « .. ونصفها مغمور تحت الماء .. لا توجد حادثتان من نفس النوع .. والسائق لم يُجرح لكنه غرق لأنه لم يستطع تحرير نفسه والسباحة للشاطئ .. لا أدرى ماذا يهمك فى كل هذا ؟.. » .

ـ « فضول يا (رضا) .. فضول .. رأيت مسرح الحادث فى أثناء عودتى من القرية أمس .... » .

ـ « مستحيل يا (رفعت) .. هذا غير معقـ .... وررررر ! » .

حمدًا لله !..

انقطع الخط فأراحنى من أسئلته الفضولية حول ما يهمنى فى هذا الموضوع .. أريد أن أخلو بنفسى لأحسن التفكير ..

ماذا يعنيه كل هذا ؟..

أولًا : يعنى أن ما رأيته أمس كان حقيقيًا .. لا هلاوس فى الموضوع ولا رؤى .. وهذه هى القاعدة التى سأبنى فوقها استنتاجاتى ..

ثانيًا : لقد كذبت (براكسا) علىّ حين قالت إنها وحيدة وإنها كانت تقود السيارة .. جثة الرجل التى وجدوها خلف المقود تؤكد كذبها ...

وهذ يقودنا إلى سؤال فرعى لكنه هام جدًا :

لماذا تكذب الفتاة ؟

الاحتمال الأول : تكذب لأنها مصدومة عصبيًا ولا تعرف حقيقية ما تقول .. أميل إلى استبعاد هذا الاحتمال لأنه لم يحدث فى أية كارثة سمعت عنها .. المفترض أن تخرج الفتاة من الماء مولولة كى تنقذ خطيبها أو زوجها أو أخاها ، ومهما كانت درجة انهيارها العصبى فهى تتماسك حتى تبلغ رسالتها ..

الاحتمال الثانى : تكذب لأنها لا تريد أن تسىء إلى سمعتها حين يعرف الناس أن رجلًا كان معها .. أميل ـ أيضًا ـ إلى استبعاد هذا الاحتمال .. فـ (براكسا) من بيئة متحررة نوعًا .. وطريق (كفر بدر ـ فاقوس) ليس طريقًا شاعريًا يلتقى فيه العشاق خلسة ، دعك من أن الأمر يحتاج إلى برود أعصاب غير بشرى كى تحافظ فتاة على سمعتها مضحية بحياة إنسان ربما أمكن إنقاذه .. لا أصدق أن فى الكون أنانية شريرة إلى هذا الحد ..

الاحتمال الثالث : تكذب لأنها حقًا أرادت الخلاص من هذا الرجل ، وقدم لها الحادث فرصة ذهبية .. ربما كان هذا الرجل شريرًا يهددها أو مبتزًا يطاردها أو زوجًا تريد الخلاص منه .. وفى جميع الأحوال كانت تصبو إلى هلاكه .. وهذا هو ما حدث بالفعل ...

الاحتمال الرابع : تكذب لأنها قتلته . وهو شبيه بالاحتمال الثالث إلى حدٍ ما .. يمكنها أن تخدره وتدير محرك السيارة تاركة إياها تنحدر إلى الماء والرجل خلف عجلة قيادتها .. ثم تتشبث بحافة الترعة زاعمة لى أنها هى الناجية من الحادث .. و .....

كلها احتمالات سخيفة هشة .....

فأمرها كان سيفتضح عاجلًا أو آجلًا ، وهى فتاة ذكية وتعرف ذلك جيدًا .. وكيف تأكدت من أننى لن أقودها إلى أقرب قسم شرطة ؟..

إن رأسى يكاد ينفجر ....

مئات الأسئلة لا يملك الجواب عنها سوى (براكسا) ذاتها ... دخلت إلى الحمام لأغسل وجهى بالماء البارد ، ثم فتحت الصيدلية الصغيرة المعلقة جوار المرآة لآخذ قرص (أسبرين) .. وهنا لاحظت شيئًا غريبًا ....

كانت زجاجة (الميركيروكروم) مفتوحة وقد تبخر أكثرها تاركًا جزءًا أكثر تركيزًا من الصبغة .. هذا هو الأثر الوحيد الذى تركته لى ، أما الأثر الثانى فكان أمبولًا محطمًا .. الأمبول الزجاجى المعقم الذى يعبئون فيه خيط الحرير المستخدم فى خياطة الجروح .. كنت أحتفظ دائمًا بواحد تحسبًا للطوارئ إذا ما شجّ الأستاذ (زكريا) رأسى أو شججت رأسه ..

والآن أرى الأمبول محطمًا وفارغًا .. وجواره الإبرة الجراحية المعقوفة إياها ملقاة في إهمال بين فكى ماسك الإبرة .. تأملت وجهى فى المرآة فرأيت علامات الذعر مرتسمة عليه .. أى نوع من الفتيات هذه ؟.....

أنا واثق من أن لهذا معنى واحدًا .. لقد كانت مجروحة فى مكان ما .. ولم تخبرنى .. وفتّشت الشقة بعناية حتى وجدت الخيط والإبرة .. وقامت بخياطة جرحها بنفسها أمام المرآة ودون تخدير !!

إن هذا يبدو مستحيلًا .. لا يوجد مخلوق عنده قوة التحمل الكافية للقيام بذلك .. دعك من أن الفتاة لا تملك أية خبرة طبية كما هو واضح .. ليس الأمر سهلًا إلى هذا الحد ..

ثم .. أين عساها جُرحت؟.. أنا لم أر دمًا فى أى مكان .. ولم تتألم أو تتأوه ..

لكن ـ إذا استبعدنا هذا ـ ما الذى يمكن أن يفعله إنسان بخيط جراحى وإبر وماسك إبر غير خياطة الجروح ؟!..

عدت من الحمام مثقلاً بالهواجس .. فارتميت بثيابى على الفراش بعد أن فتحت باب الشرفة لأظفر ببعض أنسام الهواء .. رائحة (الشانيل) مازالت لاصقة بالفراش تشى بمن نامت فيه ليلة أمس ..

يجب أن .... يجب أن ماذا ؟.. لقد نسيت .. إن أفكارى مختلطة تمامًا .. من الواضح أن إنهاك الأمس قد.......

* * *

وحين صحوت ....

كان ضوء القمر يغمر الفراش ..

وأدركت ـ فى رعب ـ أننى نمت أربع ساعات متواصلة بلا أحلام .. لقد كنت راقدًا أفكر ثم ـ فجأة ـ لم أعد هنالك ..

تثاءبت ونهضت متثاقلاً إلى الصالة المظلمة باحثًا عن مفتاح النور عالمًا أن هذه الغفوة سأدفع ثمنها أرقًا حتى الصباح ..

وهنا دق جرس الباب فأجفلت ..... ذهبت لأفتحه فى توجس ..

وفى ضو السلم الخافت رأيت (براكسا) ....!

* * *

٦ ـ لكنها عادت ..

دعونى أؤكد لكم أن الليالى المقمرة عالم ساحر .. هذا بالطبع إذا ما تغاضينا عن الأشياء المريعة التى يراها واسعو الخيال .. لكن سعة الخيال شىء مذموم عندما تأتى (براكسا) إلى دارك ليلاً ..

* * *

« تق ! » .

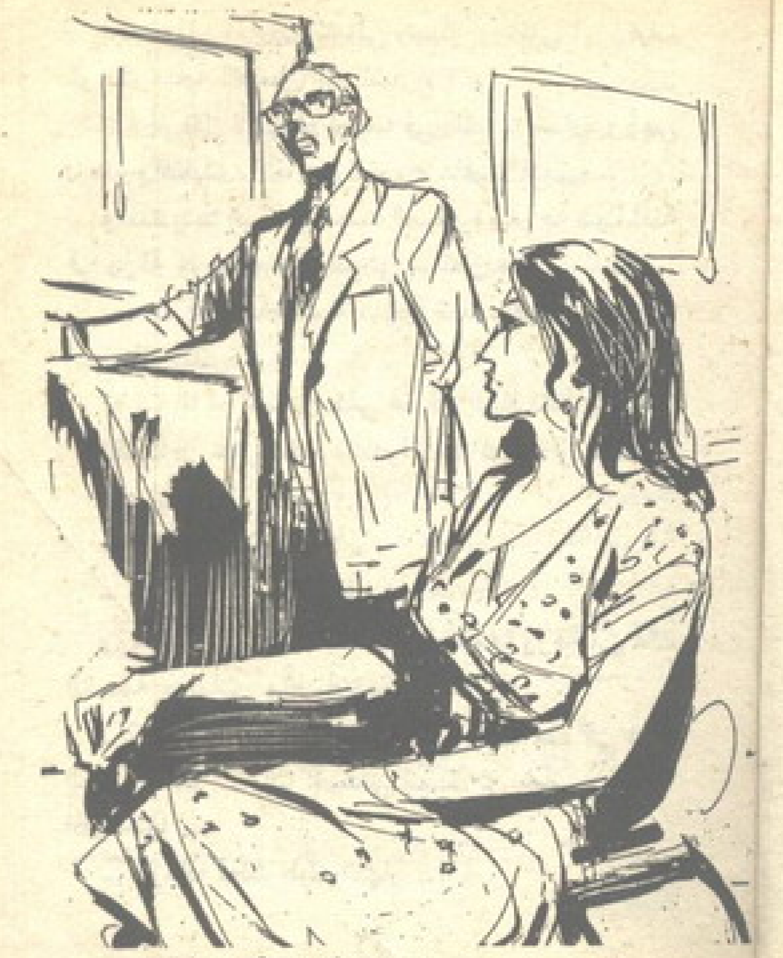
* * *

ـ « (براكسا) !.. ماذا عاد بك إلى هنا ؟ » .

ـ « يا له من استقبال حار ! » .

أشرت لها فى صمت كى تدخل .. آمل ألا يكون أحد قد رآها صاعدة إلى شقتى هذه المرة أيضًا ، لكنى لم أجد لدىّ الجرأة الكافية كى أطردها من على الباب ..

خطت إلى الداخل فى تؤدة خطوات استكشافية منهكة ، وكان صوت كعبى حذائها يدويان فى الصمت هذه المرة .. ترتدى هى الآن ثوبًا أبيض ويحيط بخصرها حزام أسود عريض .. وللمرة الثانية أدرك أنها فاتنة .. فاتنة إلى حد لا يصدق ..



أغلقتُ باب الشقة وأشرتُ إلى الأريكة كي تجلس عليها ..

أغلقتُ باب الشقة وأشرتُ إلى الأريكة كي تجلس عليها .. لحسن الحظ أنني لا أزال مرتديًا ثيابي .. شعور عجيب أن ترى امرأة في هذه الشقة التي اتخذت طابعًا ذكوريًا لا يتغير ..

أشعلت لفافة تبغ وجلست أمامها أنتظر ردّ فعلها الأول ..

ـ « لا تبدو سعيدًا برؤيتي .. » .

ـ « أولًا : أنت تعرفين الظروف عندي .. ثانيًا : أنت رحلت في الصباح دون تعليق ولا كلمة وداع ولا تفسير .. وهذا تصرف غير مبرّر .. وغير مهذب إذا سمحت لي بالتعبير .. ثالثًا : إن أسئلة عديدة تزدحم على لساني فلا تدع لي الفرصة لأتظاهر بالسعادة » .

انحنت إلى الأمام لتجذب لفافة تبغ من علبتي .. ودون أن تنتظر ردّ فعلي أشعلتها .. وعادت تسترخي على الأريكة واضعة ساقًا على ساق :

ـ « فـفـف !.. لنبدأ بالجزء الثالث من خواطرك .. أية أسئلة تفكر فيها ؟ » .

ـ « السؤال الأول هو لماذا رحلت دون ضوضاء صباحًا ؟ » .

ـ « لأنني كنت أريد الانصراف قبل أن يصحو الناس ، وكنت أنت غير موجود فلا يمكنني أن أخبرك .. » .

ـ « ثانيًا : لماذا لم تغسلى وجهك أو تأكلى ؟.. وكيف خرجت حافية القدمين إلى الشارع ؟ » .

ـ « لم آكل لأننى لم أرغب فى ذلك .. غسلت وجهى بالماء واكتفيت .. أما عن الخروج حافية القدمين ..... »

ومدّت يدها إلى حقيبة يدها الصغيرة مخرجة شيئا لفّته فى ورقة جريدة .. وناولته لى مستطردة :

ـ « .. فقد استعرت خفك من تحت الفراش ، وهأنذا أعيده لك شاكرة ..» .

آه !.. أنا لم استعمل خفى قط فلم ألحظ اختفاءه ..

نظرت فى عينىّ نظرة متحدية لاشك فيها .. وتساءلت :

ـ « أية أسئلة أخرى ؟ » .

« نعم .. لماذا عدتِ ؟ » .

ـ « طبعًا لأعيد لك الخف .. وهذه ..» .

ووضعت على المائدة الصغيرة أمامها ورقة من ذات الخمسة جنيهات ، وأضافت باسمة :

ـ « كنت بحاجة إلى المال .. ووجدت هذه فى درج الكومودينـو .. قلت لنـفسى إنـك لن تمانـع إذا ما اقترضتها ..» .

ـ « وماذا فعلت طيلة النهار ..؟ » .

هزّت رأسها فى لامبالاة .. وغمغمت وهى تطفئ لفافة تبغها :

ـ « مرة أخرى تعود للفضول غير الحميد .. كنت أعيش حياتى الخاصة وكفى .. هل انتهت أسئلتك ؟ » .

ـ « لا .. ليس بعد ... » .

ونهضتُ إلى المطبخ فعدت بزجاجة مياه غازية .. وشرعت أعدّ قدحًا من القهوة المركزة لى .. ثم عدت لها وصببت لها السائل الفائر فى كأس كبيرة .. وجلست أمامها أرشف القهوة ..

كانت الحادية عشرة مساء .. وإضاءة الشقة الخافتة تضفى على المكان كله تأثيرًا شبيهًا بالأحلام .. ومن الغريب أننى ـ حتى هذه اللحظة ـ لم أكن قادرًا على تذكر وجه الفتاة ... فقط حين ألقاها أعرف أنها هى .. أما حين أبتعد عنها يصير تذكر وجهها مستحيلًا .. وكلما حاولت ذلك استعدت وجه إحدى قريباتى ..

إن وجه (براكسا) لشبيه بالبحر .. لديك فكرة عامة عنه لكنك غير قادر على وصف كل موجة فيه مهما حاولت .....

قلت لها وأنا أمدّ ساقىّ :

ـ « هل أبلغت الشرطة أو أهلك ؟.. ماذا تمّ بخصوص السيارة ؟ » .

- « هذا ليس شأنك .. ولا تعتبر ردى هذا إهانة .. » .
- « لا أعرف حقًا أى شىء تخفين .. » .
- « إن غموض المرأة هو سرّها المقدس .. » .

بعد دقائق من التفكير قررت أن أسألها فى حذر (إنه الدافع الخفى الذى يحرك تصرفاتى كثيرًا) :

- « هل أنت واثقة من أنك لم تُجرحى فى الحادث ؟ » .
- « ثق ! .. » .
- « ولم تحتاجى لخياطة جروحك بالتأكيد ؟ » .

جرعت جرعة من زجاجة المياه الغازية .. ثم توقفت وتساءلت فى شك :

- لا أدرى ما ترمى إليه .. ولكن .. آه !.. أنت تتحدث عن الخيط الأسود الذى كان فى صيدلية الحمام ؟.. لقد كان ثوبى ممزقًا واحتجت إلى أن أخيطه فلم أجد لديك أية خامات تطريز .. اضطررت إلى استعمال هذا الخيط السميك .. وكانت معه إبرة معقوفة غريبة الشكل لكنها صالحة ... » .
- « وخطتِ الثوب بماسك الإبرة ؟! » .
- « من الصعب إمساك هذه الإبرة بالأصابع .. قل لى: أظن أنها إبرة تستخدم فى الجراحات .. أليس كذلك ؟ » .

ولم أردّ ...

إنها تكذب .. أنا واثق من أنها تكذب .. ولكن لماذا ؟.. ولأى غرض ؟.. برغم أنها صارت أكثر مرونة وأقل تعجرفًا إلا أن ارتياحى لها قد قلّ كثيرًا .. ثمة شىء لا يريح فى كل هذا .. وإننى لأسائل نفسى عن الحقيقة .. لن أصارحها بما قاله لى (رضا) ظهر اليوم .. أو سأؤجل ذلك بعض الوقت ..

كل ما ستقدمه لى هو أكذوبة جديدة .. وأنا سئمت الأكاذيب .. بعد هنيهة قالت (براكسا) وهى تضع الزجاجة :

- « حدثنى عن نفسك أكثر .. ولتنس قليلًا دور المحقق البوليسى .. » .
- « ماذا تريدين معرفته ؟.. أنا (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم بكلية طب (...) .. فى الأربعينيات من العمر .. غير متزوج .. مدخّن من النوع الثقيل .. هل يُوجد ما يقال أكثر ؟ » .

وشرعت تستجوبنى عن حياتى ونفسى استجوابًا ناعمًا رقيقًا ، فأجبتها بدقة وصراحة عن كل ما أرادت .. ولم أمنع نفسى من استشعار لذة خفية فى أن هناك من يعبأ بى إلى هذا الحد المروّع ..

- « ألن تتصرفى ؟! » .
- « بلى .. ولكن أمهلنى بعض الوقت .. » .
- « هو منتصف الليل .. أى أن ..... » .
- أنت أذكى - أو المفترض أنك أذكى - من أن تخضع نفسك لقوانين استنها المجتمع للرجل التقليدى .. أنا لا أرتكب خطأ وأنت لا ترتكب خطأ .. الخطأ إذن هو فى ذهن أولئك الذين يملون الطرقات ولا يضيفون شيئًا للحياة سوى مزيد من سوء الظن .. » .

تبًا لهاته الفتيات الوجوديات المثقفات !.. لا تكاد تقول لواحدة منهن (صباح الخير) حتى تصدع رأسك بوجوب التمرد على النمطية وأهمية أن نكون نحن لا هم .. إلى آخر هذا الملل ...

ثم إنها بدأت تحدثنى عن نفسها وكان حديثها عذبًا محببًا للنفس والأذن .. قالت إنها تدرس الأدب الإنجليزى فى كلية آداب (...) ، وإن أباها - رحمه الله - طبيب أسنان سافر إلى (اليونان) أغلب سنى عمره حيث قابل أمها وتزوجا .. وقالت إنها اعتادت المجىء إلى (كفورداود) لتزور قبر أبيها كلما عادت ذكراه السنوية .. لكنها لم تخبرنى بعنوانها قط .. ولم تفسر لى غرابة أطوارها الواضحة ..

كانت الجلسة قد طالت .. وكنت مستمتعًا كقط يقعى جوار مدفأة .. حديثها العذب ، وشبح الوحدة الذى بدأ يتأفف ويغادر عالمى .. والإضاءة الخافتة التى جعلت من كل هذا حلمًا جميلًا .. لكنه حلم لابد وأن ينتهى .. ليس منطقيًا أن تظل حتى الواحدة صباحًا فى شقتى - أنا الأعزب الشقى - بدعوى الصداقة أو التحرر الفكرى ..

وهنا .. قامت بآخر شىء توقعته ..

انتهزت إحدى لحظات الصمت وطوّحت بحذاءيها جانبًا .. ثم ثنت قدميها تحتها وتكوّرت - كقطة صغيرة - على نفسها ، وكفت عن الكلام ..

- « آنسة (براكسا) !.. حان وقت الرحيل ..» .
- « ....! » .
- « اسمعينى .. لامجال للمزاح هنا .... » .
- « ....! » .

دنوت منها وهززت كتفها بحذر .. كانت غافية حقيقة لاتصنعًا .. لابد وأنها بعد منهكة من أثر ليلة البارحة وإلا لما نامت بهذه البساطة ، هززتها بمزيد من الشدة فأصدرت صوتًا متململًا وعقدت يديها على صدرها .. وغيرت وضعها إلى وضع أكثر استرخاء على الأريكة !...

عليك اللعنة !.. يا له من موقف ..!.. كيف أنجح فى إيقاظك إذن ؟.. إن صب الماء البارد فوق رأسك فكرة لا بأس بها لكنى لست فظًا إلى هذا الحد خاصة مع النساء .. ليس أمامى سوى تركك ودخول غرفة نومى .. ولكن لا .. إن فلاح (الشرقية) المتحفظ الراقد فى أعماق روحى لا يستطيع ذلك .. لا يستطيع سوى أن ....

وهكذا دققت جرس (عزت) فى إصرار للمرة الثانية !.. سمعت صوت سبابه وهو قادم من الداخل .. فما إن فتح الباب ورآنى حتى تقلص وجهه ذهولاً :

ـ « (رفعت) !.. هل جننت ؟.. ثانى ليلة تدق فيها بابى بعد منتصف الليل !.. لابد وأن هذه مزحة ثقيلة منك ..! » .

ـ « دعنى أدخل يا (عزت) أولاً ثم نتكلم .. » .

قلتها وأنا أدخل شقته .. هذه المرة كنت أحمل منامتى وفرشاة أسنانى ومشط شعرى .. بل ومطفأة سجائرى ..

ـ « إذن أنت تنوى المبيت عندى ؟ » .

ـ « هذا واضح ! » .

صاح فى حنق وهو يجذب ذراعى لأنظر فى وجهه :

ـ « لقد حان الوقت لتفسر لى: لماذا تهرب من شقتك ؟! »

ـ سأحكى لك كل شىء ... » .

وحكيت له القصة كاملة هذه المرة ....

* * *

قال (عزت) بعد أن فرغت من الكلام :

ـ « هذه الأشياء لا تحدث إلا لك يا أخ (رفعت) .. ولو أردت رأيى فأنا أعتقد أن الفتاة مخبولة تمامًا .. وليس من الحكمة أن تتركها فى دارك وحدها لتفعل ما تريد ...... » .

ـ « والحل فى رأيك ؟ » .

ـ « أن تطردها حالاً .. » .

ـ لا يطاوعنى قلبى على ذلك .. إننى (جنتلمان) كما تعلم ..» .

ـ « إذن أفعل هذا عنك .. اسمع .. سندخل معًا إلى شقتك وأوقظها أنا .. قل لها إننى شريكك فى المسكن وإننى غاضب وإننى أسأت الفهم .. وسأوجه أنا لها عبارات سمجة تجعلها تتصرف حانقة ..» .

ـ « وأين تذهب هى فى ساعة كهذه ؟ » .

ـ « هى مشكلتها .. ما كان يجب أن تظل عندك كل هذا الوقت ... » .

لم أدر حقًا ما أقول .. كلامه منطقى .. وهذا الذى يجرى خطأ وينبغى أن ينتهى .. ثم إننى لن أطرد من شقتى كل ليلة .. ينبغى قطع قدمى هذه الفتاة إذا صح التعبير ..

خرجت معه من شقته مبلبل الفكر قاصدين شقتى عبر الردهة المظلمة أعلى الدرج .. ومددت يدى لجيبى أخرج المفاتيح ..

وهنا سمعته يمسك بيدى بعصبية حتى كاد يهشمها .. كان يريد أن أرى شيئًا أثار انتباهه .. وسمعته يقول :

- « هوذا .. لست مجنونًا والحمد لله ! » .

نظرت إلى حيث أشار .. وتصلبت ......

ما سرّ هذا الضوء الأحمر الخارج من أسفل بابى ؟!.....

★ ★ ★

٧ ـ وعاد الرعب ..

كنت أقول إذن إن الليالى المقمرة عالم رائع .. هذا بالطبع إذا ما تغاضينا عن الأشياء المرعبة التى يراها واسعو الخيال ..

لكن الشىء الذى يراه اثنان يندر أن يكون خيالًا ..

★ ★ ★

مددت يدى بالمفتاح إلى قفل الباب، وجاهدت كى لاترتجف أصابعى من فرط انفعالى .. وخلفى جرى (عزت) لاحقًا بى .. ولم نتبادل كلمة لكننا عرفنا ـ فى ذات اللحظة ـ أننا سنرى شيئًا مروعًا ..

انفتح الباب ببطء شديد .. شديد ......

ومططنا عنقينا ـ كالسلحفاه ـ لنرى بحذر ما هنالك ..

★ ★ ★

لم يكن هناك شىء ...

بالحق لم يكن هناك شىء ..

اختفى الضوء الأحمر بمجرد أن لامس مفتاحى قفل الباب، وكأننى فتحت دائرة كهربية ما ..

وأنرت ضوء الصالة فلم أر سوى الفتاة نائمة على الأريكة كالملائكة وكما تركتها منذ دقائق ..

ما معنى هذا ؟..

نظرت إلى (عزت) ونظر هو لى نظرة خاوية معناها عدم الفهم لشىء ..

* * *

« مرة أخرى تعود للفضول غير الحميد .. كنتُ أعيش حياتى الخاصة وكفى ..» .

* * *

نظر (عزت) إلى الفتاة النائمة فى ضوء الصالة الخافت ..

ـ هل هذه هى ؟.. إنها جميلة حقًا .. » .

ـ لكنك لست الأمير الذى تنتظره هى كى تفيق .. » .

أشار لى من طرف خفى كى أمضى معه إلى المطبخ .. وهناك أضاء النور النيون الخافت .. وذهب إلى الحوض فغسل وجهه بشىء من الماء .. ثم شرب جرعة فى كفه .. وقال هامسًا :

ـ « ما رأيك ؟ » .

ـ « لا رأى لى ..» .

ـ « أنت رأيت الضوء الأحمر مثلى .. لم تكن هلوسة جماعية .. إن هذه الفتاة تخفى سرًا يعلمه الله وحده .. أو هى تداعبنا مداعبة عملية قاسية .. » .

أشعلت لفافة تبغ واستندت إلى الموقد مفكرًا ..

ـ « والحل؟ » .

ـ « اقترح ألا تغادر الشقة .. بِت ليلتك هنا لتعرف ما يحدث بالضبط .. وسأكون أنا فى شقتى بانتظار ندائك لى .. إلا إذا أردتَ أن أبيت أنا الآخر معك .. » .

قالها وفتح علبة أحفظ فيها الملح، ومضى يزدرد بعض الحبيبات البيضاء التى وضعها فى كفه .. أرجو ألا ينسى القارئ المرض المزمن الذى يعانيه (عزت) ويجعله يشتهى (الصوديوم) باستمرار .. لابد أن ضغطه بدأ ينخفض بعد الانفعالات الأخيرة ..

وقلت وأنا أدفن لفافة التبغ فى الحوض محدثًا ذلك الصوت الفائر القصير :

ـ « عُد أنت إلى شقتك ولا تقلق .. سأبيت فى حجرتى .. » .

هزّ رأسه وتمنى لى ليلة طيبة ثم غادر الصالة، ملقيًا نظرة أخيرة على الجسد المسترخى هناك .. ثم فتح باب الشقة وخرج ..

* * *

« تق ! » .

* * *

جلست فى الصالة شارد الذهن أتأمل (براكسا) حيث رقدت على الأريكة وقد عقدت يديها على صدرها وثنت ساقيها تحت جذعها والتوى عنقها إلى اليسار .. الإضاءة خافتة شاحبة كإضاءة قطارات الدرجة الثالثة (إذا احتفظ أحدها بأضوائه) بسبب المصباح البائس المتخاذل الذى أضيئه ليلًا لأعرف مكان الحمام ....

إنها أول فرصة تتاح لى كى أتأمل ملامحها بعناية ودقة دون أن أصطدم بعينيها المقتحمتين ....

دنوت منها ببطء راكعًا على ركبتىّ ودققت النظر أكثر .. كان أنفها الأقنى ينحدر من جبين مفعم بالكبرياء إلى شفة عليا رقيقة يعلوها ذلك الأخدود الذى يسميه علم التشريح (النثرة) .. وكانت تجعيدتان قاسيتان تحيطان بالفم من الجانبين توحيان بأنها اعتادت التحدى وإشعار الآخرين بسماجتهم ....

وفى أذنيها كان قرطان من اللؤلؤ - لابد أنه حقيقى - يتدليان فى إهمال نحو عنقها و ......

إننى الآن أرى عنقها بوضوح تام وقد انزاح عنه ستار شعرها الأسود الفاحم ..

ما هذا الذى أراه ؟!..



جلست فى الصالة شارد الذهن أتأمل (براكسا) حيث رقدت على الأريكة وقد عقدت يديها على صدرها وثنت ساقيها تحت جذعها

إن هذا الجرح .. جرح غليظ بشع المنظر يمتد بطول
عنقها من زاوية الفك حتى الترقوة ....
جرح مزّق الأنسجة على جانبيه شر ممزق .. جرح
عميق كما هو واضح .. بل - وأنا واثق من هذا - مزّق
الشريان السباتى والوريد الودجى .. وهما الوعاءان
الأساسيان فى العنق المسئولان عن الذبح ..!
كيف استطاعت هذه الفتاة أن تعيش بجرح كهذا ؟...
إذن فحادث العربة لم يكن دون إصابات ...
ولكن كيف لم تمت ؟.. بل - على الأقل - كيف لم
تنزف ؟!...
أما أسوأ ما فى الأمر فهو الخيوط السوداء التى تحيط
بحافة الجرح فى محاولة بدائية لغلقه !.. محاولة لتقليل
بشاعته وحجمه لا لغلقه إذا أردنا الدقة ....
هذه الخيوط مألوفة لدىّ .. خيوط مأخوذة من صيدلية
دارى .. واستخدمت بيد غير خبيرة لخياطة هذا الجرح
الذى لم أر مثله فى عنق مخلوق حىّ .....!
إذن كانت الفتاة كاذبة ..
هى التى أخذت الخيط ووقفت أمام مرآة الحمام تحاول
استعماله على نفسها ، عالمة أن انسدال شعرها لن يبقى
السرّ خافيًا لفترة طويلة !!..

من هى هذه الفتاة ؟.. ومن أين جاءت حقًا ؟!...
وهنا رفعت عينى إلى وجهها ..
فوجدت عينيها مفتوحتين تحملقان فى وجهى .....!

* * *

إن أشد ما يثير رعبى لهو الجهل بالخطر .. وفى كل
قصصى أردد عبارتى الخالدة : (لم أكن أعرف ذلك .. لأنى
كنت ساذجًا .. ساذجًا) .. تخيلوا لحظة دخول (ذات الرداء
الأحمر) لجدتها التى لاتعرف أنها ذئب متنكر .. كلنا
نعرف ذلك لكنها لاتعرف ، ونكاد نصرخ : اهربى ..
اهربى ! لكنها - بالطبع - لا تسمعنا ..
(جوناثان هاركر) يزور قصر (دراكيولا) وهو الوحيد
الذى لا يعرف من هو (دراكيولا) .. رائحة الكبريت انبعثت
من (كاترين) فى القبو المظلم لكنى لم أربط بين ذلك وبين
مصاصى الدماء ..
وفجأة تلتمع الحقيقة كضوء شهاب ...
ويدرك بطل القصة - بعد فوات الأوان - أنه فى مأزق
حقيقى ..
عندئذ تولد ذروة القصة ..
(من الكتيب العاشر - حلقة الرعب)

* * *

ـ « د . (رفعت) !.. هل تريد شيئا ؟ » .

سألتنى بصوت ناعس لم يعد بعد من عالم الأحلام .. وقبل أن أرد عليها ابتلعت ريقها بصوت مسموع مرتين .. ثم توسدت ذراعها على مسند الأريكة وواصلت النوم .....

ـ « لا .. لا شىء يا (براكسا) .. واصلى .. واصلى نومك .. » .

قلتها للاأحد فى الواقع .. قلتها لنفسى ...

وبدأت أتراجع ـ على ركبتى ـ إلى أن عدت إلى موضعى الأول .. ورفعت جسدى بصعوبة إلى الأريكة وأشعلت لفافة تبغ .. ومضيت أتأمل ألسنة الدخان الأبيض وأقيم موقفى عليه ..

بصعوبة أقاوم رغبتى الجامحة فى أن أصرخ وأفر من الشقة .. إن هذا لا يليق بى .. إننى منطقى رزين وسأظل كذلك .. وتأملت الفتاة فى اهتمام مذعور ..

لا تبدو لى مريعة إلى هذا الحد .. مجرد فتاة حسناء أخرى غافية كمومياء (أمنمحات) أو دبّ قطبى فى (فبراير) كما يقول (عزت) .. لكن الحقائق تقول إنها شىء آخر .. شىء لا أفهم كنهه .. فى الصباح سأطلب منها ألا تعود أبدًا ..

فأنا لا أرغب فى إيقاظها حاليًا .. بل ولا أجرؤ حتى على لمسها .. نعم .. سأكون حازمًا للمرة الأولى فى حياتى .. ولكن فى الصباح ..

* * *

قررت أن أمضى بقية الليلة عند (عزت) .... يجب على هذا البائس أن يتحملنى .. فأن تكون جارًا لـ (رفعت إسماعيل) معناه أن تتحمل كارثة كل صباح ومصيبة كل مساء .. وأن تتعلم ألا تشكو ..

هذا ذنبه لا ذنبى إذن ......

وأنا لن أبيت مرة أخرى مع هذا الشىء مهما حدث .. نهضت لأنصرف حين لفتت نظرى المرآة المعلقة فى ركن الصالة .. (كلا !.. لن أقول لكم إن صورة الفتاة لم تنعكس فيها فلا تتوقعوا ذلك !.. لقد ابتعدنا كثيرًا عن د . (كامنجز) ومومياء مصاصى الدماء .. ولن يخلو التكرار من الإملال لو عدت لذات النغمة) .. إن ما خطر لى حين رأيت المرآة هو فكرة .....

هذه المرآة ـ إذا ما وقفت عند النافذة ـ تظهر منظورًا عامًا للصالة بكل تفاصيلها .. فلو أننا فتحنا النافذة .. وثبتنا على خصاصها مرآة صغيرة باستعمال دبابيس الضغط، ثم غيرنا وضع شيش النافذة ليتوازى مع مرآة الصالة ....

عندئذ يكون من الممكن لمن يقف عند (عزت) فى الشرفة أن يرى مرآة النافذة وقد عكست صورة واضحة لمرآة الصالة ، وهذه الأخيرة ترينى كل ما يحدث فى الصالة عندى .. هل تفهم هذه التقنية ؟..

إنها تشبه إلى حدّ ما أسلوب منظار الغواصة (البيروسكوب) الذى يكشف لها كل ما يدور فوق سطح الماء بينما الغواصة فى الأعماق ..

وفى سرعة أحضرت مرآة الحلاقة وثبتّها على خصاص الشيش .. وفتحت الشيش إلى الوضع المطلوب .. وزيادة فى الحرص ربطته بخيط رميت طرفه فى شرفة (عزت) ليسهل علىّ التحكم فى زاويته من هناك ....

ثم زدت إضاءة الصالة لتكون الرؤية أفضل ...

لم تكن الفتاة قد حركت ساكنًا ....

لهذا سرت فى خفة إلى باب الشقة وأغلقته خلفى ....

* * *

٨ ـ لكنها بريئة ..

تعرفون أن الليالى المقمرة عالم رائع .. هذا بالطبع إذا ما تغاضينا عن الأشياء المخيفة التى يراها واسعو الخيال ....

ولقد كانت الليلة مقمرة .. وخيالى متسع كالمحيط .. لهذا لم أكن قادرًا على التغاضى عن شىء ....

* * *

فى هذه المرة لم يشدّ (عزت) شعره .. بل فتح لى الباب فى استسلام آثار شفقتى ..

ـ « لم تستطع أن تحتمل .. هه ؟ » .

ـ « بالفعل .. » .

ولم أصارحه باكتشافى الصغير حول عنق الفتاة .. لا جدوى من الشرح فهو لن يفهم شيئًا على كل حال ..

إلا أننى تركته واتجهت إلى الشرفة ، فعالجت المزلاج لأفتحه ودخلت وهو خلفى غير فاهم لشىء .. وجذبت الخيط المثبت فى شيش نافذتى حتى استطعت أن أرى فى المرآة صورة لا بأس بها لصالة شقتى ، وكومة بيضاء مبهمة على الأريكة هى الفتاة ....

سألنى فى غباء هارشا رأسه :

ـ « ماذا تفعل بالضبط ؟.. لم أتصور أنك مراهق إلى هذا الحدّ برغم صلع رأسك ..!.. تريد اختلاس النظر إلى الفتاة بهذا الأسلوب المعقد ؟! » .

ـ « إن اسمى هو (رفعت إسماعيل) لا (توم البصّاص) كما يقول الإنجليز .. وغرضى علمى تمامًا .. » ووضعت يدى على كتفه شارحًا :

ـ « هذا تقليد بدائى لدوائر التليفزيون المغلقة .. هكذا يمكننا أن نرى كل ما يحدث فى الشقة بينما نحن هنا آمنان .. وعندما ينبعث الضوء الأحمر مرة أخرى سيكون عندنا التفسير بدلًا من أن نركض إلى الشقة فلا نجده .. » .

ـ فهمت .... » .

وأحضر مقعدين إلى الشرفة المظلمة إلا من ضوء القمر .. أنسام الليل الرحيمة تداعب وجهينا فى رفق .. المبانى المجاورة مدثرة بالظلام والصمت كأشباح تنتظر ردّ فعلنا ....

ـ « أعتقد أن الأمر يحتاج لكوبى شاى .. ولكن ... » .

قالها وضمّ إصبعيه الإبهام والسبابة علامة الاستحسان .. وأردف :

ـ « ليكن شايًا حقيقيًا ...! » .

نهضت معه إلى المطبخ لأشرب .. على حين تناول برادًا قديمًا متسخًا وقلبه ليفرغه .. كاد يغشى علىّ حين رأيت صرصورًا أسود فاخر الشكل يثب من البراد محركًا شاربيه فى جشع !، لكن (عزت) أطلق سبّة وواصل ملء البراد من صنبور المياه ....!

لايزال واحدًا من سادة (العك) وقادته كما عرفته دائمًا .. وحين انتهى الشاى المريع صبّه فى كوبين ملوثين بالشحوم ، ودعانى كى أعود إلى الشرفة لنتجرع هذا الشىء الكريه ونواصل المراقبة ..

وعدنا إلى مقاعدنا .. وشرع يثرثر عن تماثيله ومستقبل أعماله ، وعن مراسلاته مع (كندا) التى طلبت عرض بعض تماثيله هناك .. لابد أن الكنديين قد جُنّوا أو عندهم أزمة فى خامات البناء .. وبينما هو لايتوقف نظرت بطرف عينى إلى المرآة ....

أصابنى الذهول ....

لقد اختفت الكومة البيضاء من على الأريكة !

* * *

« تؤ ! » .

* * *

ـ « (عزت) !.. لقد رحلت الفتاة ! » .

نظر للمرآة فى حيرة ووضع كوب الشاى على سور الشرفة :

ـ « فعلًا .. لربما هى فى دورة المياه .. إن هذا حقها كما تعلم .. » .

ـ « تعال ندخل الشقة ونر ما هنالك ..» .

وهرعنا إلى شقتى ، وفتحت الباب .... وفى الداخل .. كانت الصالة خاوية ـ كما رأيتها بالضبط ـ ولا أحد فى حجرة النوم ولا المطبخ ولا الحمام ولا ....

لقد طار العصفور دون سابق إنذار بينما نحن نعد الشاى بالصراصير فى مطبخ (عزت) ....

ـ « ولكن كيف أفاقت ؟.. لقد كانت نائمة مثل .... » .

ـ « مثل مومياء (أمنمحات) .. لابد أنها تسير فى أثناء نومها ..» .

ـ « وكيف أغلقت الباب ونزلت السلم بهذه البساطة ؟ »

ـ أنت لا تعرفها .. إن حركتها رشيقة للغاية .. » .

وهنا أشار (عزت) إلى شىء ملقى على الأرض جوار الأريكة .. تبينت على الفور أنه ملاءة بيضاء من غرفة نومى .. وفهمت ما حدث ...

كانت الشيطانة تراقبنى خلسة وعرفت ما أنتويه بالمرآتين .. لهذا ـ ما إن خرجتُ من الشقة ـ حتى هرعت

إلى غرفة النوم وأحضرت ملاءة كومتها على الأريكة لتعطى انطباع جسدها النائم .. ومع المسافة والظلام وتشويه المرئيات كان الانطباع كاملًا ...

لماذا فعلت ذلك ؟..

لأنها كانت تعرف أننى سأراقبها ، وسأحاول منعها من الخروج .. وكان عليها أن تلهينى بهذه الملاءة حتى ترحل هى فى سلام .. ولم يكن ثمة داع كبير لهذه الخديعة لأننى بالفعل لم أكن مراقبًا يقظًا وأضعت دقائق ثمينة فى المطبخ مع (عزت) ......

والآن ـ للمرة الثانية ـ رحلت (براكسا) دون أن أعرف .. ومن الصعب أن أعرف كيفية عودتها لدارها فى هذه الساعة من الليل .. لكننى لن أبكى حزنًا على فراقها .. بالتأكيد لن أفعل ..

★ ★ ★

وحين رحل (عزت) أخيرًا ، دخلت غرفة نومى ـ بعد ما أحكمت غلق الباب ـ لأنعم بنوم هادئ لم أذقه منذ .. منذ يومين ..

وجدت ورقة موضوعة جوار الفراش تحت قاعدة الأباجورة .. فلابد أن الفتاة كتبتها قبل أن ترحل .. وجوارها كانت جريدة الأمس .

أضأت الأباجورة وخلعت حذائى ورقدت على ظهرى أقرأ الخطاب ..

« عزيزى د . رفعت » .

كان الخط منمقًا أنيقًا .. خط فتـاة دون شك ...

اضطررت للمرة الثانيـة أن أقرّ من دارك بنفس الأسلوب الذى لا يدلّ على اللياقة . لكننى أردت أن تنتهى هذه المزحة قبل أن تؤدى إلى ما لا تحمد عقباه .

فى الواقع أنا مدينة لك بالاعتذار عن دعابة طالت كثيرًا . لقد كنت أنت موضوع رهان بينى ومجموعة من أترابى بعضهنّ طالبات طب ممّن تدرس لهنّ أمراض الدم (ولن أذكر أسماءهنّ أبدًا) . كانت صديقاتى تتحدثن حول أى إنسان غريب الأطوار أنت . لم تتزوج ولم تفتتح عيادة وتقضى حياتك فى دائرة لا تنتهـى من قصص الرعب وعوالم ما وراء الطبيعة . ويومها قلت لهنّ إننى لو قابلتك لجعلتك تعيش فى لغز حقيقى يغير مجرى حياتك للأبد .

أنت تعرف هؤلاء الفتيات المدللات اللواتى يعانين الفراغ والملل ويفرطن فى التسلية على حساب الغير . وكنت للأسف واحدة منهنّ . وقد راهننى على أن أقوم بما وعدت به فقبلت الرهان . لكننى كنت عاجزة عن العثور على نقطة البدء .

وتصادف أن كانت إحداهنّ يملك أهلها عزبة جوار قرية (كفورداود) وتعرف أنك من قرية (كفر بدر) المجاورة . لهذا قررنا أن الرؤية المرعبة التى ستواجهك ستحدث حتمًا عند مقابر (كفورداود) . سيكون هذا هو المكان الذى ستقابل فيه (براكسا) حسناء المقبرة .

وكنا نعرف أنك ستعود ليلًا ، وكان من حسن طالعنا أن سيارة قد انقلبت فى الترعة قبل يوم لكن أحدًا لم يحاول انتشالها .

وهيأنا المسرح واختبأت أنا جوار ضفة الترعة . وكنا نعلم أنك ستتوقف لترى الحادث عن كثب . وأنت تعرف الباقى .

حين تركتنى وحيدة فى شقتك كانت الفرصة مهيأة لى بالكامل كى أعبث هنا وهناك ، وقمت عدة مرات بإضاءة مصباح أحمر أحمله معى لأعطيك انطباعًا أن ضوءًا غامضًا ينبعث من الشقة . ثم غادرتها عند الفجر .

وهذه الليلة عدت أعابثك من جديد حاملة ذات الكشاف الأحمر ، مع ماكياج متقن لجرح نافذ فى عنقى . أردت - وأردن - أن نقنعك بأنك ترى حادثًا خارقًا للطبيعة .

إلا أننى لم أستطع التمادى أكثر .. فأنت كنت مهذبًا رقيقًا معى لهذا غادرت شقتك تاركة لك هذا الاعتذار ، عالمة أن عالمًا حكيمًا مثلك يغفر الزلات البشرية ويتسامح معها .

لكننى لست جبانة يا د . (رفعت) . وأعرف كيف أواجه أخطائى لهذا سأعود لك غدًا كى تؤكد لى بنفسك أنك لم تعد غاضبًا علىّ . و (صاف يا لبن) .

ومن يدرى ؟.. ربما كسبت صداقة دائمة من إنسانة وجدت فيك ما لم تجده فى شباب اليوم .

المخلصة : (براكسا نجيب)

* * *



أنهيت الخطاب فى حنق وأرجعت رأسى للوراء .. فاصطدم بحافة الفراش الخشبية ..

أنهيت الخطاب فى حنق وأرجعت رأسى للوراء .. فاصطدم بحافة الفراش الخشبية .. لكننى لم أستشعر ألما .... إذن قد عبثت بى هذه المستهترة أنا الحمار العجوز الذى لم يستطع أن يجعل تلميذاته يحترمنه ...!

تذكرت - على الفور - فيلمًا نسيت اسمه لـ (عبد الحليم حافظ) حين كان يلعب دور أستاذ موسيقا شيخ ، وعبثت به فتاتان مدللتان تراهنتا على الفوز بحبه .. وقيمة الرهان زجاجة مياه غازية ..!

هذا الموقف شبيه بما حدث لى ..

هذه الفتاة تلاعبت بشهامتى وأعصابى وجعلتنى أبيت ليلتين خارج دارى للاشىء ... مجرد لذة العبث ..

ما أقسى النفس البشرية اللوامة !

ولا أدرى متى نمت كمدًا .. لكننى نمت على كل حال ....

لقد أخذت الفتاة الرعب وتركت لى الغيظ .. وكلاهما شعور يتناقض والنوم .. لكننى نمت .....

★ ★ ★

« تؤ ! » .

★ ★ ★

فى الصباح جلست على مائدة الإفطار أتصفح صحف اليوم التى يضعها الصبى على عتبة بابى (وغالبًا ما ينسى ذلك) .. وكالعادة لم أجد متسعًا من الوقت لمطالعتها ، فطويتها على أن أقرأها بعناية فى مكتبى بالكلية ....

ثم إننى عدت أتأمل خطاب الفتاة المنكودة .. وهنا خطر لى خاطر غريب ....

أحضرت ورقة وقلمًا وشرعت أنقل خطابها بالحرف إلى الورقة بأسرع ما استطعت ..

فما إن انتهيت حتى نظرت لساعتى .. لقد استغرق ذلك تسع دقائق أو أكثر قليلًا .... إن معنى هذا هام جدًا ..

هام أكثر مما تصورت أنت ...

* * *

٩ ـ لكننى أرتاب ..

الليالى المقمرة عالم رائع .. هذا بالطبع إذا ما تغاضينا عن الأشياء الرهيبة التى يراها واسعو الخيال ....

لكن شمس النهار كانت تبدد كل خيال ....

* * *

متى دخلتُ المطبخ مع (عزت) تاركين الشرفة ؟

كان ذلك حين دعانى لاحتساء الشاى بالصراصير ..

كم من الوقت يستغرقه غليان الماء فى البراد .. صب الشاى .. العودة إلى الشرفة ؟..

ثلاث دقائق .. أو أربعًا على أكثر تقدير ... هذه هى الفترة الوحيدة التى يمكن أن تكتب الفتاة خطابها فيها .. لأنها تكتبه على أساس أننى رأيت جرح عنقها .. فكيف تجد الوقت الكافى لتنهض .. تضع ملاءة بيضاء مكانها .. تكتب الخطاب بعد أن تخرج قلمًا وورقة .. تضعه تحت الأباجورة .. تلقى بالملاءة .. تفتح باب الشقة .. تخرج ؟!..

إن النظام يعطى للوقت بركة لكن ليس إلى هذا الحد !..
أنا نفسى حاولت كتابة الخطاب ذاته ووجدت أن أسرع كاتبة اختزال فى الكون لن تتم كتابته قبل تسع دقائق ...!
إذن من المستحيل أن تكون الفتاة قد كتبت الخطاب فى الوقت الذى غفلنا فيه عن مراقبتها ... هذه نقطة ...

★ ★ ★

النقطة الثانية تتعلق بمحتواه ...
تزعم أن الحظ خدمها بحادثة سيارة فى ترعة (كفورداود) استغلتها ببراعة .. لا أظن أن قوانين الصدفة سخيفة إلى هذا الحد ... ألا ترى ذلك معى ؟!....
ثم إنها فسرت لى وجود السيارة .. لكنها لم تفسر أضواءها التى ظلت تتألق تحت الماء ...
كيف تظل بطاريات سيارة صالحة يومًا كاملًا وهى مغمورة تحت الماء ؟.. لم تقدم لى (براكسا) تفسيرًا لأنه لا تفسير هناك ...

★ ★ ★

النقطة الثالثة تتعلق بالضوء الأحمر .....
فكرة سخيفة أن تدّعى أنها كانت تحمل كشافًا أحمر لتثير رعبى، فقد رأيتها أول يوم .. وكانت ممزقة الثياب حافية القدمين .. فأين أخفت الكشاف إذن ؟!!..

ثم .. ما هو المبرر الذى يجعل فتاة متمدينة تمشى حافية القدمين .. وتغمر جسدها فى ترعة كى تخدعنى ؟..
ولماذا لم تخبرها زميلاتها - طالبات الطب - أن (السركاريا) ستخترق كل ملليمتر من جسدها لتغزوه بديدان (البلهارسيا) لعنة مجارى المياه فى (مصر) ؟!...
نأتى لموضوع الجرح .. لقد تقدم فن (الماكياج) كثيرًا .. لكنه يؤدى دوره فقط حين يوجد الحاجز الرابع - حاجز خشبة المسرح أو شاشة السينما - لكن لا تقل لى إن هناك (ماكياجًا) قادرًا على خداع طبيب يفحصه من على بعد ثلاثين سنتيمترًا .. مستحيل ..!

★ ★ ★

« تؤ ! » .

★ ★ ★

ذهبت لعملى مبلبل الفكر مشوش العقل بخواطرى ..
جلست أتصفح الجرائد التى لم أقرأها بعد، حين وجدت خبرًا صغيرًا أثار اهتمامى ..
« يلقى مصرعه فى الترعة - تم انتشال جثة (أحمد عبد الرحمن) - ٤٥ سنة - صيدلى من ترعة قرية (كفورداود) محافظة الشرقية بعد جهود مضنية قام بها الأهالى .

وكانت سيارة المذكور قد سقطت فى الماء أمس وظلت
مغمورة به عدة ساعات . وقد انتقل إلى مكان الحادث كل
من .... بدفن الجثة .. » .

هذا هو ..!

الرجل الذى كان فى السيارة مع (براكسا) ولم تخبرنى
بأمره .. لم يبلغنا الخبر بالسبب الذى جعل هذا الصيدلى
يسير بعربته فى طريق (كفر بدر ـ فاقوس) .. فهل هو
من أهل القرية ؟.. لا أعرف صيادلة من (كفر بدر) .. فهل
هو من أبناء القرى المجاورة ؟..

إن الأمر سهل .. سأتصل بـ (رضا) مرة أخرى وأسأله
عن تفاصيل لم يذكرها الخبر ..

وهرعت إلى (سويتش) الكلية .. أعطيت لفافة تبغ لعمّ
(بسيونى) العجوز عامل (السويتش) طالبًا منه أن يتصل
بسنترال (كفر بدر) ـ كابينتها على وجه الدقة ـ فابتسم ..
وبصق على سبيل التحية .. ثم شرع يمارس الجهاد
المقدس : الاتصال بقريتى .

وبعد لأى .. سمعت صوت الحاج (دياب) .. فأخبرته
أننى (رفعت إسماعيل) وأن عليه أن يتكرم ويطلب من
(رضا) أخى الاتصال بى ظهرًا ..

ثم شكرت (بسيونى) فهزّ رأسه وبصق على سبيل
قول : عفوًا .. وغمغم :

ـ « عندى إسهال مستمر من البارحة يادكتور ..
وأردت أن ..... » .

لم أسمع باقى أعراضه لأنى فررت من (السويتش)
عائدًا إلى مكتبى .

★ ★ ★

حين دق جرس الهاتف المحموم الطويل فى شقتى ..
كنت متوترًا كالقوس فوثبت نحوه .. ورفعتُ السماعة :

ـ « آلو .. » .

ـ « أنا (رضا) يا (رفعت) .. كيف الحال ؟ » .

ـ « على مايرام يا (رضا) .. قل لى .. هل تعرف من
يُدعى (أحمد عبدالرحمن) .. وهو صيدلى من (كفور
داود) .. ؟ » .

ـ « لا .. » .

سألته عن الرجل الذى استخرجوا جثته من الماء ،
وأخبرته أنه هو (أحمد) هذا .. فقال إنه غير معروف فى
مركز (فاقوس) كله وإنه قاهرى تمامًا ، كل ما يمكنه ذكره
عن الحادث هو أن ..

- «الرجل عجوز جدًا .. شاب شعر رأسه كله وتجعد وجهه تمامًا .. » .

- «مستحيل يا (رضا) .. الصحف تقول إنـــه فى الخامسة والأربعين .. » .

- «صدقنى أنا .. أنا الذى حملت جثته على يدىّ هاتين مع الرجال ..

ولكن .. (رفعت) .. لماذا تعلق كل هذه الأهمية على الموضوع ؟ » .

كنت أفكر سريعًا فى مغزى كلامه ...

هذا ثانى غريق أشيب أسمع عنه خلال يومين .. الأول كان فى جريدة أمس .. واليوم يحدثنى (رضا) عن الآخر ..

هل ثمة علاقة ما بين الرجلين ؟ ..

ما سرّ هذه الشيخوخة المبكرة ؟ ..

- «سؤال أخير يا (رضا) .... » .

- « ررررررررررر ! » .

انقطع الخط اللعين قبل أن أوجه سؤالى .. لا يهم ..

لقد نسيته على كل حال ...

★ ★ ★

كنت أحترق بفضول لا يرتوى ...

فضول لمعرفة كل شىء قبل أن تعود الفتاة ليلا .. على كل حال هى لن تجدنى لأننى غير راغب فى لقائها بل أخشاه كالموت .....

سأمضى الليلة إذن فى أى مكان .. ربما فى العناية المركزة جوار الكاهن الأخير الذى لم يُشف من غيبوبته بعد ..

لقد خدعتنى (براكسا) مرارًا ...

لكننى لن أدعها تخدعنى خدعتها الأخيرة إذ تزعم أن كل ما يحدث هو دعابة قامت بها فتيات مستهترات ..

أن فى محاولتها إقناعى بذلك لمعنى خطيرًا ..

هى لا تريد أن أصغى للشكوك المتزاحمة فى ذاتى ..

هى تريد أن أكف عن البحث .....

هى تريد أن تعود لى هذه الليلة لتقول : (صاف يا لين) .. فلماذا ؟......

فلأبتلع قرصًا من المهدئات .. ولأواصل بحثى ...

★ ★ ★

فى دليل الهاتف وجدت عددًا لا بأس به من الـ (أحمد عبد الرحمن) منهم صيدليان .. هل أقدم أم أحجم ؟ .. حتمًا سترد علىّ أرملة منكوبة أو أخ كليم أو أم ثكلى .. ولن يقبل أحد أن يثرثر معى حول الفقيد ، والسبب الذى جعله يزور (كفور داود) .. فى النهاية استجمعت أشلاء شجاعتى ،

وأدرت قرص الهاتف لأسمع صوت طفل يرفع السماعة ويهتف بحماس:

- « ألووووه !.. طانط (سناء) أحضرت لى أرنبًا وبطة .. وكان جدى عندنا أمس ..! » .

أنباء هامة جدًا !.. إن هذا الصغير يتمتع بحاسة إعلامية واضحة ولو كان مزاجى رائقًا لطلبت منه مزيدًا من التفاصيل !.. وهنا سمعت صوتًا رجوليًا يزجره أن : كفى يا (حماده) ثم يقول لى فى حزم :

- « أفندم ؟ » .

- « د . (أحمد عبد الرحمن) موجود ؟ » .

توقف ثانية عن الرد .. ثم سمعته يسألنى فى حذر :

- « من يريده بالضبط ؟ » .

هذا الرجل يتذاكى علىّ متظاهرًا بالحرص .. وهو ذكاء مفضوح كذكاء المخبرين فى الواقع .. لهذا قلت :

- « أنا قريبه من (كفور داود) ..! » .

ساد الصمت هنيهة .. ثم قال فى تؤدة :

- « ليس للمرحوم أقارب فى (كفور داود) ..» .

- « ماذا ؟.. هل مات ؟! » .

- لا تزعم أنك لا تعرف ..» .

ثم استحال صوته إلى صراخ غاضب يكاد يسمعه جيرانى :

- « كفوا عنا عليكم اللعنة !.. ألا تجدون سوانا فى هذا العالم ؟.. ذلك المهندس المخبول .. ثم تلك الغانية ..!.. إن الرجل قد مات بسببكم .. وكان أفضل الناس .. تك !.. وررررر ! »

وضعت السماعة محمرّ الأذنين كأنما صفعت على قفاى .. واضح أن هذا هو أخو (أحمد عبد الرحمن) أو أخو زوجته .. وهو حانق بسبب حشد من المتطفلين كانوا يتدخلون فى حياة أخيه ، أحدهم مهندس مخبول وغانية .. وأنا طبعًا ....

نسيت أن أقول أيضًا إن هذا يعنى أن من طلبتُه هو (أحمد عبد الرحمن) المطلوب !...

أشعلت لفافة تبغ وجلست جوار الهاتف أفكر ....

لقد قدم لى الرجل بثورته كل ما أحتاج إليه من معلومات ..

أولًا : هناك غانية وهى على علاقة بالفقيد .. يمكن القول دون خطأ كبير إنه يتحدث عن (براكسا) .. فهى كانت مع الفقيد حين حدث الحادث ....

ثانيًا : هناك مهندس مخبول .. هل يمكن أن يكون هو (محمود أبو زيد)؟.. لم لا ؟.. جثتان شاب شعرهما وبدت عليهما علامات الشيخوخة .. لابد أن هناك رابطًا بينهما ....

وتساءلت .. من هو (الآخر) الذى سقط مع (محمود أبو زيد) فى الماء ؟.. لقد سقط (أحمد عبد الرحمن) مع (براكسا) فى تلك البركة .. فهل هو نفسه من سقط مع المهندس ؟..

إن الربط سهل ....

(محمود أبو زيد) ثم (أحمد عبد الرحمـــن) ثم (براكسا) .... ما معنى هذا إذن ؟....

كأن هناك نوعًا من الانتقال ..

شيئًا ما قتل (محمود أبو زيد) غرقًا ثم غادره إلى (أحمد عبد الرحمن) ثم قتله غرقًا وغادره إلى (براكسا) ..

هل هذا ممكن ؟....

إنه يفوق الخيال لكنه منطقى أكثر من اللازم .. لعل هذا يفسر الشيخوخة المفاجئة التى تهاجم هؤلاء التعساء بعد موتهم .. كأن الشىء الذى كان بهم يمتص شبابهم وحيويتهم قبل أن يغادرهم ....

قد يوحى هذا بتناسخ الأرواح لكن هذا غير صحيح ، لأن مبدأ التناسخ غير مقبول دينيًا ..

(الهندوك) فقط يؤمنون بهذا المبدأ ، ويعتقدون أن الروح تنتقل من جسد إلى جسد بوفاة الأول .. ولربما كان الجسد الثانى جسد حيوان .. وتكفر الروح عن خطاياها فى الجسد الثانى ...

ويعتقدون أن هذه الدورة أبدية مقدارها ٤٣٢٠ مليون سنة وهو ما يمثل يومًا واحدًا فى عمر رب أربابهم الذى يبلغ عمره مائة وخمسين يومًا .....!..

ولهذا يحرقون الجسد ويلقون عظامه فى نهر (الجانج) المقدس ـ منبع (الكوليرا) الأول فى العالم ـ ويصلون للمتوفى عشرة أيام إلى أن تستقر روحه فى جسد آخر بسلام ....

طبعًا كلام وثنى تأباه الأديان السماوية ، وغير وارد أصلًا فى تفسير ما يحدث ... لكننى أقبل تفسيرًا يقول إن هناك كيانًا شيطانيًا يمارس هذه اللعبة منذ فترة يعلمها الله وحده .. وهذا الكائن يحوم حولى الآن فى صورة حسناء اسمها (براكسا) ..!..

إلا أن الفضول لم يمنعنى من البحث فى مكتبى عن كتاب عن (الأديان المقارنة) .. وجلست أراجع ما كتب عن التناسخ وخلافه .. فلم أزدد إلا نفورًا من الفكرة ....

* * *

« تؤ ..! » .

* * *

ترررررررررن !..

هرعت إلى الهاتف لأجيب .. فسمعت صوت (رضا) وسط آلاف الأصوات بسبب تداخل الخطوط ..

- « (رضا) !.. ماذا حدث ؟ » .

- « لاشيء يا (رفعت) .. أردت أن توجه لى سؤالاً ثم انقطع الخط فعاودت طلبك ..» .

ابن حلال حقًا يا (رضا) !.. لقد وفرت علىّ عناء معاودة الاتصال بالحاج (دياب) الحانق دائمًا ..

- « قل لي يا (رضا) .. هل هناك شخص من (كفور داود) ومدفون هناك اسمه (نجيب) ..؟.. طبيب أسنان سافر إلى (اليونان) وتزوج من يونانية ؟ » .

- « لا أعتقد يا (رفعت) .. إن تلك البلدة لم تنجب إلالصوصًا .. لكنى سأحاول التأكد واتصل بك .. ولكن هل الأمر يهمك إلى هذا الحدّ ..؟ » .

- « جدًا يا (رضا) .. إنها مسألة نسب ! » .

- « ألف نهار أبيض ! » .

كان هذا هو الحافز الوحيد الذى سيجعله يهتم بالأمر .. فهو لن يعبأ شعرة بقضية (براكسا) والضوء الأحمر وخلافه .. لكن موضوع النسب أمر جدير بالاهتمام ...

ووضعت السماعة وشرعت أفكر فى الخطوة التالية ...

كان الوقت قد فرّ منى بين التفكير .. والقراءة .. والمكالمات الهاتفية ..

بصعوبة تبينت أن الرؤية تزداد صعوبة ..

وبصعوبة تبينت أن الظلام قد بدأ يسفر عن وجهه المخيف ..

بصعوبة سمعت أذان المغرب من مسجد قريب ...

وبصعوبة أدركت أن قرص القمر يختلس النظر من خلف المبانى فى الأفق .. كأنه يستوثق من أن الشمس قد رحلت حقًا ... لقد حان وقت الانصراف ....

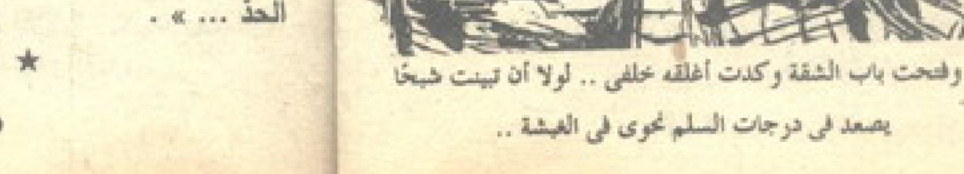
* * *

وفتحت باب الشقة وكدت أغلقه خلفى .. لولا أن تبينت شبحًا يصعد درجات السلم نحوى فى الغبشة .. شبحًا يرتدى فستانًا وشعر رأسه طويل .. وشممت رائحة (الشانيل) ...

لقد عادت (براكسا) كما وعدت ...

عادت وأنا غير مستعد للقائها ....!

* * *



وفتحت باب الشقة وكدت أغلقه خلفى .. لولا أن تبينت شبحًا
يصعد فى درجات السلم نحوى فى العتمة ..

١٠ ـ وكنت على حق ..

الليالى المقمرة عالم رائع .. هذا بالطبع إذا ما تغاضينا عن الأشياء الشنيعة التى يراها واسعو الخيال ...

★ ★ ★

« لهذا سأعود لك غدًا كى تؤكد لى بنفسك أنك لم تعد غاضبًا علىّ . و (صاف يا لبن) .. » .

★ ★ ★

« تؤ ! » .

★ ★ ★

فى هذه المرة لم أكن على استعداد للعب أدوار مهذبة .. لا وقت لدىّ كى أكون رقيقًا ....

أغلقت الباب بأعنف ما استطعت ، ووقفت ألهث خلفه لثوان .. ثم أدرت المفتاح فى القفل .

سمعت صوتها من وراء الباب ممزوجًا بالضحك :

ـ « توقّعت منك الجفاء .. لكن ليس إلى هذا الحدّ ... » .

★ ★ ★

وقال الذئب للحملان الصغيرة :

ـ « افتحوا يا صغارى .. أنا أمكم وقد عدت من السوق .. »

ـ نظر الحملان إلى قدم الذئب البيضاء التى نثر عليها الدقيق ، وكاد أحدهم يفتح المزلاج ، لكن أخاه هتف فى فزع :

ـ « لحظة !.. هذه ليست أمنا ! » .

كيف عرف ذلك ؟.. لا أذكر بالضبط .. فقد عادت هذه القصة إلى ذاكرتى بعد ثمانية وثلاثين عامًا .. ودون سابق إنذار ..

* * *

صوت (براكسا) الناعم من وراء الرتاج :

ـ « د . (رفعت) !.. أنت لم تقبل اعتذارى .. هذا واضح ! » .

ـ « لمَ لا تنصرفين يا فتاة ؟! » .

قلتها فى شىء من نفاد الصبر برغم محاولتى التماسك .. وأردفت .

ـ « لا أحد يريدك هنا ... » .

ـ « يا لها من قسوة ! » .

ثم ساد الصمت هنيهة ..

بعدها عاد صوتها .. هل تخدعني أذناى أم أن صوتها صار أكثر خشونة وجدية وأقل دلالاً ؟.. لا أدرى .. إن الإيحاء يلعب دورًا هائلاً فى هذه المواقف ...

ـ « د . (رفعت) أعتقد أن المزاح قد انتهى .. إن كلينا يفهم الآخر .. » .

ـ « بالتأكيد .. » .

ـ « إذن عليك أن تفهم أن هذا الباب المغلق لن يحميك منى .. كل أبواب الأرض لن تفعل .. » .

ـ « حقًا ؟ » .

انفجر الصوت بضحك .. تلك الضحكة السمجة المنتصرة ..

ـ « أنت تعرف ما هو الرعب .. وأنا الرعب ذاته فى صورة إنسان .. سأطاردك خلف كل باب .. وراء كل حائط .. أسفل كل نافذة .. ستجدنى تحت فراشك قبل أن تنام .. وفى كل حلم من أحلامك .. ولن تجد مفرًا منى سوى الموت .. الموت تختاره بنفسك لنفسك .. صدقنى يا د . (رفعت) .. لا سبيل أمامك سوى أن تفتح الباب وتصغى لما أقوله لك ! » .

كانت صادقة .. نبرات صوتها توحى بالصدق ..

يجب أن أواجه هذا (الشىء) وإلا غدت حياتى كلها جحيمًا .. أنا أعرف كيف سيفسد الرعب كل شىء ، ولن أجد موضعًا آمنا أذهب إليه بقية عمرى .. إننى أفضل الموت العاجل على الموت البطىء ..

سأفتح الباب .. وليكن ما يكون ....

* * *

كانت واقفة على مدخل الباب تبتسم فى انتصار ..

وحين سمحت لها بالدخول ورأيت وجهها فى ضوء الصالة ، أدركت أن التجاعيد تزايدت فى ملامحها ، وأن خصلات عديدة من الشعر الأبيض غزت رأسها .....

دخلت إلى الصالة .. وجلست على أريكتها المعتادة .. فجلست أمامها وأشعلت لفافة تبغ .. ثم غمغمت :

ـ « يبدو لى أن وقتك صار ضيقًا .. » .

وناولتها لفافة تبغ أخرى وأشعلتها لها ..

قالت وهى تنفث الدخان وقد أرجعت رأسها للوراء كعادتها :

ـ « بالفعل .. لهذا جئت أعقد معك صفقة .. » .

ـ « هل أنا أتحدث الآن مع فتاة أم مع كائن ؟ » .

نظرت فى عينى .. وابتسمت .. ثم همست :

ـ «منذ أعوام لا أعرف عددها وأنا أهيم بين البشر .. كروح حائرة تبحث عن مأوى .. عشت فى (النرويج) .. فى (زامبيا) .. فى (المجر) .. ثم بلدكم الدافئ الذى جئته منذ شهور .. كنت حدادًا .. مثالًا .. راقصة باليه .. محاربًا فى جيش (هانيبال) .. فلاحًا فى (منغوليا) .. ساحرًا فى (الكونغو) .. مهندسًا فى (مصر) .. » .

ـ « والآن طالبة آداب اسمها (براكسا) .. وغدًا طبيب أمراض دم اسمه (رفعت إسماعيل) .. هل أخطأت التخمين ؟ » .

ـ « أنت ذكى ولم تتنكب الحقيقة .. أنا مضطر لسكنى أجساد البشر .. لكن هذه الأجساد تبلى سريعًا ويكون علىّ أن أجد جسدًا آخر بسرعة .. » .

ـ « لهذا أغرقت (أحمد عبد الرحمن) فى النيل وأخذت جسده ليجد رجال الشرطة ذلك المهندس البائس (محمود أبو زيد) وقد فرغت منه الحياة ... » .

ـ « هذا صحيح .. كانت هناك حسناء اسمها (براكسا) هى أول من رأى (أحمد عبد الرحمن) لحظة خروجه من الماء .. وأدركت أن الدور عليها بعد أن يبلى جسد هذا الأخير .. صادقتها وأقمت علاقة عاطفية معها ـ لحسن الحظ أن (أحمد) كان وسيمًا ـ ثم أخذتها فى السيارة إلى (كفور داود) .. وهناك أغرقت السيارة فى الماء .. كانت هذه هى نهاية قصتى مع جسد (أحمد) وبدايتى مع (براكسا) .. » .

ـ « والآن (براكسا) تبلى .. وجاء دورى أنا .. » .

ـ « هذا صحيح .. لكنى أعرض عليك صفقة لا بأس بها يا د. (رفعت) باعتبارك أول من فهم السرّ فى هذا البلد .. » .

ووضعت (براكسا) ساقًا على ساق .. وأردفت :

ـ « لقد حان وقت الخلاص من (براكسا) .. ولا يتأتى هذا إلا بإغراقها معك .. وتحت الماء أستطيع مغادرة جسدها ودخول جسدك .. وسيجدها الناس مجرد جثة غارقة قد بدت عليها مخايل الكهولة .. أما أنت فستغادر الماء باحثًا عن ضحية قادمة .. والعرض الذى أقدمه لك يا د . (رفعت) هو أن تجد لى شخصًا مناسبًا كى يغرق مع (براكسا) .. كبش فداء عنك إذا أردت الدقة .. » .

ـ « هبنى انقضضت عليك الآن وقتلتك أو قيدتك ؟ » .

ـ « لن تستطيع .. إن (براكسا) ميتة بالفعل منذ غرقت السيارة .. هى مجرد حذاء أستعمله للتنقل .. والميت لا يمكن قتله ! » .

ثم أضافت وهى تبتسم بخبث :

ـ « إننى سأملأ الكون صراخًا وعويلًا وسيأتى كل سكان البناية ليروا د . (رفعت) يهاجم فتاة فى شقته .. أنت لا تحتمل فضيحة كهذه يا د . (رفعت) خاصة أن قصة (الكائن) تبدو نوعًا من الهلوسة التى لا يصدقها عاقل .. » .

يا له من موقف !..

لقد واجهت كل شىء .. رأيت (لوخ نس) ، وتسابقت مع (الزومبى) وتصارعت مع (العساس) ، واشتبكت مع نبات (الموكاسا) .. لكنى ـ للمرة الأولى فى حياتى وأحلامى ـ أجلس مع مسخ أناقشه بهذه البساطة والعقلانية ..

سألت الفتاة وأنا أشعل لفافة تبغ ثانية :

ـ « ما أنت ؟ » .

هزت رأسها فى ملل ، وداعبت خصلات شعرها :

ـ « تعنى (من أنت ؟) طبعًا .. حسن .. أنا كائن بروتوبلازمى هلامى فائق القدرات .. لا أعرف بدايتى .. وأظن أننى كنت دائمًا هنالك .. لربما جئت من كوكب آخر بين أجزاء شهاب .. ولربما أنا ربيب الارض ، لا أدرى .. فقط أعرف أننى سأظل أفعل هذا الذى أفعله حتى تحين الساعة » .

ـ « ولماذا كتبت لى ذلك الخطاب الملفق ؟ » .

ـ « لأنك بدأت تفهم .. ولم أكن أريد أن تفر منى قبل أن أنجح فى إغراقك .. كتبت لك اعتذارًا بسيطًا على أمل أن يزيل علامات استفهامك وعندئذ يمكننا أن نخرج معًا .. ومن يدرى ؟ .. لربما طلبت منك نزهة نيلية تنهى هذا الإشكال ! أما الآن .. فمن الصعب أن أقنعك بالخروج معى .. أن وقتى ضيق لهذا أقدم لك هذا العرض السخى .. » .

ـ « سؤال واحد .. هل تظنين حقًا أننى سأذهب إلى واحد من الجيران وأطلب منه أن يذهب معك لتغرقيه ؟! » .
ـ « هى مشكلتك .. » .
وضعت أنا الآخر ساقًا فوق ساق بحثًا عن الاسترخاء .. وقلت وأنا أشعل لفافة تبغ (الثالثة فى ربع ساعة) :
ـ « وماذا يرغمنى على الاستجابة ؟.. سأتركك تستهلك هذا الجسد وتفنى .. أما عن نفسى فلن أقترب من الماء لمدة شهر .. وبهذا يكون آخر مسمار فى نعشك قد دُق ! » .
مالت إلى الأمام ونظرت إلى عينى فى سخرية :
ـ « هل أنت بهذه السذاجة حقًا ؟ » .
ـ « لا أفهم .. » .
« هل تظن أن قوة الفتاة ما زالت قوة فتاة كما هى بعد ما احتللت جسدها ؟!.. إننى قادر ـ إذا أردت ـ على حملك كالطفل وإغراقك فى بانيو الحمام .. بعدها سأغمر رأس الفتاة تحت الماء بذات الطريقة .. ويتم التبادل دون مشاكل .. » .
ـ « إذن .. لماذا لا تفعل دون ثرثرة ؟ » .
ـ « لأنى غير راغب فى إيذائك .. لقد بدأت تروق لى إلى حدّ ما ويصعب علىّ أن أدمر كائنًا على قدر من الذكاء .. » .
ـ « نفس المنطق الذى يجعل قتل دجاجة أسهل من قتل الكلب .. أليس كذلك ؟ » .

ـ « بلى ... » .
يا له من جنون !..
يصعب علىّ أن أصدق أن هذا الموقف وهذه الكلمات حقيقية .. إن قصة رائعة تنضمّ إلى قائمة ذكرياتى الآن .. بشرط ألا تكون هى ذيل القائمة ..!
فى الواقع أنا قادر على الفرار .. أستطيع فى أية لحظة أن أركض للباب ، المشكلة هى ما سيحدث بعد ذلك .. سأظل أنتظر فى أية لحظة أن تهاجمنى ـ أو يهاجمنى ـ هذا الكائن ويغمر وجهى فى الماء .. لن أجد الراحة أبدًا فى أى مكان ...
كلا .. إننى أفضل أن ينتهى الأمر الآن .. وهنا .....

★ ★ ★

أمسكت بكتفى الأيسر وأصدرت أنينًا مروغًا .. وارتميت على الأريكة محاولًا أن أخترقها إلى الأعماق .. وسقطت لفافة التبغ من يدى لتحرق السجادة .....
ـ « ماذا بك ؟ » .
قلت محاولًا التماسك ومن بين أسنانى :
ـ « نوبة قلبية ..!.. إن هذه الانفعـ.....ـالات .. آه ! .. سوف تقتـ... ـلنى .. ها اااااه ! » .
وقفت أمامى .. وجهها فى الظل .. الشك والحيرة فى مسلكها :



أمسكت بكتفى الأيسر وأصدرت أنينًا مروعًا .. وارتمت على الأريكة محاولاً أن أخرقها إلى الأعماق ..

- « هل أفعل لك شيئًا ما ؟.. لا أريد أن تموت بهذه الكيفية كما تعلم ... ! » .

- « الأقراص !.. النتروجلسرين !.. غرف ... آه !.. فة .. النوم ! » .

- « حسن .. حسن .. » .

وسمعت صوت كعبيها يمضيان فى شىء من الهرولة إلى هناك ..

وقبل أن تفهم هى ما حدث ، وثبت إلى باب غرفة النوم وأغلقته خلفها .. كان آخر ما رأيته وجهها المحملق الكريه يستدير نحوى حيث انحنت تفتش أدراج الكومودينو ...

لقد كان مفتاح حجرة النوم مثبتًا فى ثقب المفتاح من الخارج ، وهى عادة عندى أن أغلقها كلما سافرت وآخذ المفتاح معى .. وهكذا أدرت المفتاح فى القفل وأغلقته ...

سمعت صوت زئيرها .. وسمعت قبضتيها الكاسحتين تدقان الباب مرارًا .. هو لا يعبأ بما يحدث لكفى (براكسا) الرقيقتين حتى لو هشمهما تمامًا .. لكنى كنت واثقًا بأن لجسد الفتاة إمكانات محدودة ولن تقدر أبدًا على تهشيم الباب ...

طبعًا هناك باب الشرفة .. وحتمًا ستفتحه .. لكن الشرفة لا تقود لأية غرفة أخرى ......

* * *

عدت إلى الحمام ففتحت الصيدلية ودسست تحت لسانى قرصًا من (النتروجلسرين) .. فقد بدأ الألم يمزق صدرى حقيقة لا تمثيلًا .. كانت النوبة الأولى خدعة راهنت فيها على أنها لن تتركنى لأموت بهذه السهولة .. كنت بحاجة الى أن أسجنها بعض الوقت إلى أن أعرف ما أفعله بها ..

أما الآن فإن الانفعال قد أنهكنى حقًا .. وأنا بحاجة إلى الراحة بعض الوقت قبل أن أذهب لأفعل الشىء المعتاد ... أوقظ (عزت) طبعًا ..!

★ ★ ★

كان صوت ضربات الفتاة ومحاولات تهشيمها للباب شبيهًا بخنزير برى حبيس ، ولقد هرعت إلى شقة (عزت) ومارست عمليات مماثلة مع بابه إلى أن فتح لى :

- « بسم الله الرحمن الرحيم !.. ميعاد الرعب اليومى .. » .

- « لقد سجنتها فى غرفة نومى يا (عزت) .. سجنتها ..! » .

- « من هى ؟ » .

- « يا لك من معتوه !.. الفتاة طبعًا .. » .

- « وما نفع ذلك .. » .

- « شرعت أحكى له بأنفاس متلاحقة متهدجة ما كان بينى وبينها .. لم يبدُ عليه أنه صدق حرفًا لكن الذعر على وجهه كان حقيقيًا ..

- « وماذا تنتوى عمله معها ؟.. تبلغ الشرطة ؟ » .

- « بالطبع لا .. لن يصدقونا .. ما أنتوى عمله هو فتح الشرفة مع أول ضوء للشمس .. عندئذ سيغمر النور الحجرة .. إن هذا الكائن لا يظهر إلا ليلًا ويفرّ قبل الفجر .. فهل يعنى هذا أن ضوء الشمس يدمره ؟!.. »

تجربة تستحق المحاولة .. » .

هرش رأسه فى غباء .. وغمغم :

- « وكيف ستفتح باب الشرفة ؟.. إنها بالداخل كما تعلم .. » .

- « لهذا طلبتك كى تأتى معى .. سنقتحم الحجرة معًا ويلتحم معها أحدنا على حين يفتح الآخر الشيش .. ونجرّها مرغمة إلى الشرفة .. » .

حك لحيته مفكرًا واستند إلى باب شقته :

- « لكنها قوية كما قالت هى .. » .

- « لا أعتقد أنها أقوى من رجلين حتى لو كانا أنا وأنت ! » .

ومشى معى إلى شقتى وقد بدا عليه الاقتناع .. سيمضى الليل معى ثم ننفذ معًا فى الصباح ما أزمعناه ....

وعلى باب الشقة لاحظت شيئًا غريبًا ....

* * *

« تؤ ! » .

* * *

- « (عزت) !.. لقد اختفت الضوضاء ! » .
- « وماذا فى ذلك ؟.. لقد انتابها الإرهاق .. » .
- « لا أظن .. ربما هى تنتظر ؟! » .

ودنوت فى حذر من باب الغرفة وأطرقت محاولاً أن أسمع أفضل .. ثم بعد هنيهة مددت يدى إلى المفتاح ..

صاح (عزت) فى رعب وهو يمسك يدى :

- « صبرًا ..!.. ربما كانت خدعة .. وبمجرد فتح الباب ستخرج كالنمر الحبيس فى وجوهنا ..! » .

من يدرى ؟.. وربما كانت فى الشرفة تبحث عن وسيلة للفرار .. وعندئذ لن يكون من الحكمة أن ندخل خلفها ..

تراجعت يدى إلى جوارى .. وهززت رأسى :

- « إذن ننتظر حتى الشروق ؟! » .
- « ننتظر ... » .

وهكذا - يا رفاق - جلست مع (عزت) فى الصالة نرمق الباب الموصد فى توجس .. وننتظر قدوم الشمس ....

* * *

الجزء التالى ليس من مذكرات الدكتور (رفعت إسماعيل)

كان (شريف الغمرى) شابًا كأى شاب آخر .. يأكل جيدًا ويشرب جيدًا وينام جيدًا ويشاهد السينما ويستمع إلى أغانى (عبد الحليم حافظ) .. كان يتمنى أن يتذوق هذا الإكسير السحرى المسمى بالحبّ .. الإكسير الذى يتحدث عنه الجميع فى الشعر والأفلام والأغانى ، الجرثومة التى وجدت وسطها الحيوى الملائم فى أغانى (عبد الحليم) وسواه ..

كان فى الخامسة والعشرين من العمر .. معدوم التجارب .. له تلك الملامح الدقيقة السمراء التى ورثها الشاب المصرى من جده الفرعونى ، وفى تلك الليلة كان قد أمضى أمسية أطول من اللازم مع أحد أصدقائه من سكان (الدقى) يلعبان الشطرنج ويثرثران عن الفتيات ، وكلاهما يعرف أن الآخر كاذب مدع .. لكنهما لم يتهم بعضهما البعض بشىء ....

إنها الثانية بعد منتصف الليل .. وهو يمشى فى شارع (الترعة) يفكر فى السبب الذى جعلهم يسمونه بهذا الاسم فى هذا الحى الراقى .. هل كانت هناك ترعة هنا مثلًا ؟.. أم أن ....

وهنا حدث شىء مروع ...

رأى شيئًا أبيض يهوى من إحدى شرفات العمارة التى تبعد عشرة أمتار عن موضعه .. شيئًا له ثقل وطاقة وضع فلا يمكن أن يكون مجرد ملاءة .. وسمع صوت الارتطام بالأسفلت فسقط قلبه عند قدميه .. إن ضوء القمر يفترش الشارع كله والرؤية لابأس بها .... هرع نحو الشىء الأبيض .. ووقف يتأمله .. فأدرك أنه يرى فتاة ترتدى ثوبًا أبيض مكومة فوق الأسفلت كأنه لم تعد فى جسدها عظمة سليمة واحدة .. ماذا يفعل ؟.. يصرخ ؟.. يفرّ ؟.. يطلب الشرطة ؟.. لكن الفتاة تحركت .. ببطء تحركت .. ثم إذا بها تجلس أمام عينيه المذهولتين .. كانت بارعة الجمال .. منهكة مبعثرة لكنها بارعة الجمال .. ورآها تنظر نحوه فانحنى جوارها يتساءل متلعثمًا :

ـ « هـ .. هل أنت سـ .. سالمة ؟ » .

هزّت رأسها أن نعم .. ثم مدت يدها له كى يعاونها على النهوض .. مستحيل !.. كيف تظل سالمة بعد سقطة كهذه ؟

ـ « هل .. هل سقطت من أ .. أعلى ؟ » .

مرة أخرى ترفع عينيها نحوه :

ـ « بل حاولت الانتحار لأنه لا أحد يحبنى ... » .

ـ « ولـ .. ولكن .. لـ .. لماذا ؟.. وكـ .. كيف ؟ » .

وشرعت تحكى له وهى مستندة إلى كتفه قصتها الطويلة مع حب فاشل ، أدركت معه أنه لا أمان لرجل .. وطلبت منه أن يساعدها على الابتعاد عن هذا المكان ..

فى الساعات المقبلة ستنمو علاقة حب سريعة بين (شريف) والفتاة التى سيعرف أن اسمها (براكسا) .. علاقة حب طالما تاقت لها نفسه الظمأى إلى الحبّ كالصحراء ... ولسوف تدعوه الفتاة إلى نزهة نيلية هادئة عندما يأتى المساء ، ويعانق القمر صفحة الماء .. ولسوف يقبل (شريف) فى حماس هذه النزهة التى داعبت أحلامه دهرًا ...

كل هذا سيحدث فيما بعد .. أما الآن فهما يبتعدان ببطء عن مكان الحادث .. و (شريف) ما زال يتساءل عن كيفية نجاتها من سقطة كهذه .. لكنه قال لنفسه إن الأحمق فقط هو من يضيع الوقت فى هذه الأسئلة التافهة ....

إن الليالى المقمرة عالم ساحر .. هذا بالطبع إذا ما تغاضينا عن الأشياء الشنيعة التى يراها واسعو الخيال .. وللأسف لم يكن (شريف الغمرى) من هؤلاء ....

* * *

خاتمة ..

فى الصباح اقتحمت أنا و (عزت) الغرفة مهيئين لمواجهة مسخ هائج كالبركان .. لكننا لم نجد أحدًا بالداخل ... دخلنا الشرفة – التى كانت مفتوحة – فلم نجد الفتاة .. لقد طار العصفور .. ولكن كيف ؟

لفت (عزت) نظرى إلى قطعة ممزقة من ثوب أبيض تعلقت بسور الشرفة .. وإلى حذاء أبيض دقيق ملقى على الأسفلت أسفل البناية .. عندئذ فهمت أنها قفزت من هناك مفضلة الانتحار على مواجهة النهار بكل احتمالاته المفزعة بالنسبة لها ....

من هى (براكسا) ؟.. من هم أهلها ؟.. كيف لم تعد إليهم كل هذه الفترة ؟

أنا واثق من أن صورتها تتصدر إحدى نشرات (خرج ولم يعد) فى مكان ما .. وبالتأكيد لها اسم آخر حقيقى لانعرفه ..

دق جرس الهاتف فرفعت السماعة لأسمع (رضا) يصرخ :

- « (رفعت) !.. لا يوجد أطباء أسنان من (كفور داود) .. ولا أحد يُدعى (نجيب) فى البلدة بأسرها .. أنا متأكد من كلامى .. إنهم يخدعونك يا (رفعت) .. يخدعونك ! » .

- « أعرف هذا يا (رضا) وإننى لشاكر فضلك ..» .

- « أقول لك ألا تقدم .. لا ترتبط بهذه الفتاة .. لا مزاح فى مواضيع الزواج هذه ! » .

على الرغم منى ابتسمت .. وشكرته .. ووضعت السماعة ..

* * *

لم تعد (براكسا) قط .. ولم أرها أو أسمع عنها ...

هناك تفاصيل عديدة تفوت الصحف وتفوتنى .. كنت أتوقع أن أقرأ خبر العثور على جثة فتاة غريقة شاب شعرها .. لكنى لم أقرأ خبرًا كهذا ربما لأنهم لم يعثروا عليها قط .....

أنا أعرف أن هذا الكائن يبحث عن وقود دائم من الأجساد البشرية .. فهل هو مازال فى (مصر) أم رحل بعيدًا عنها إلى (سيبريا) أو (تمبكتو) أو أى بلد ناء آخر ؟..

هل سيعود لى مرة أخرى ؟..

إن هذا الاحتمال لم يعد يفزعني .. فأنا اليوم في السبعين من العمر ولا يمكن القول إن موتي الآن هو خسارة لأحد .. حتى أنا ...!

لكنني ـ في سن الأربعينيات ـ كنت أرتجف فرقًا في كل ليلة أسمع فيها صوت كعبيْ أنثى على سلم داري ...

وبالطبع لم أستطع أن أعود إلى موضوع (هن ـ تشو ـ كان) قبل أسبوع كامل استرجعت فيه روعي ورباطة جأشي ...

إن الليالي المقمرة عالم ساحر .. هذا بالطبع إذا ما تغاضينا عن الأشياء المفزعة التي يراها واسعو الخيال .. ولم أكن أعلم أنني واسع الخيال إلى هذا الحدّ ..!

★ ★ ★

لقد كانت قصة الليلة كابوسية إلى حدّ ما ، وإنني لاستميحكم العذر ..

لكن قصة الليلة القادمة لن تقل قتامة عن هذه .. فهي تلعب حول تيمة (الرعب من المعارف) .. تيمة (البارانويا) الخالدة ..

لكن هذه قصة أخرى .....

★ ★ ★

د . رفعت إسماعيل

القاهرة

روايات مصرية للجيب

ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة حسناء المقبرة

الليالي المقمرة عالم ساحر .. هذا بالطبع إذا ماتغاضينا عن الأشياء المفزعة التي يراها واسعو الخيال .. والليلة اكتمل القمر بدرا .. و(براكسا) كانت هناك .. عندئذ عرف د.(رفعت) انه إنسان واسع الخيال .. واسع الخيال إلى حد مخيف .



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة الغرباء

الثمن في مصر
ومايعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

تنشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع